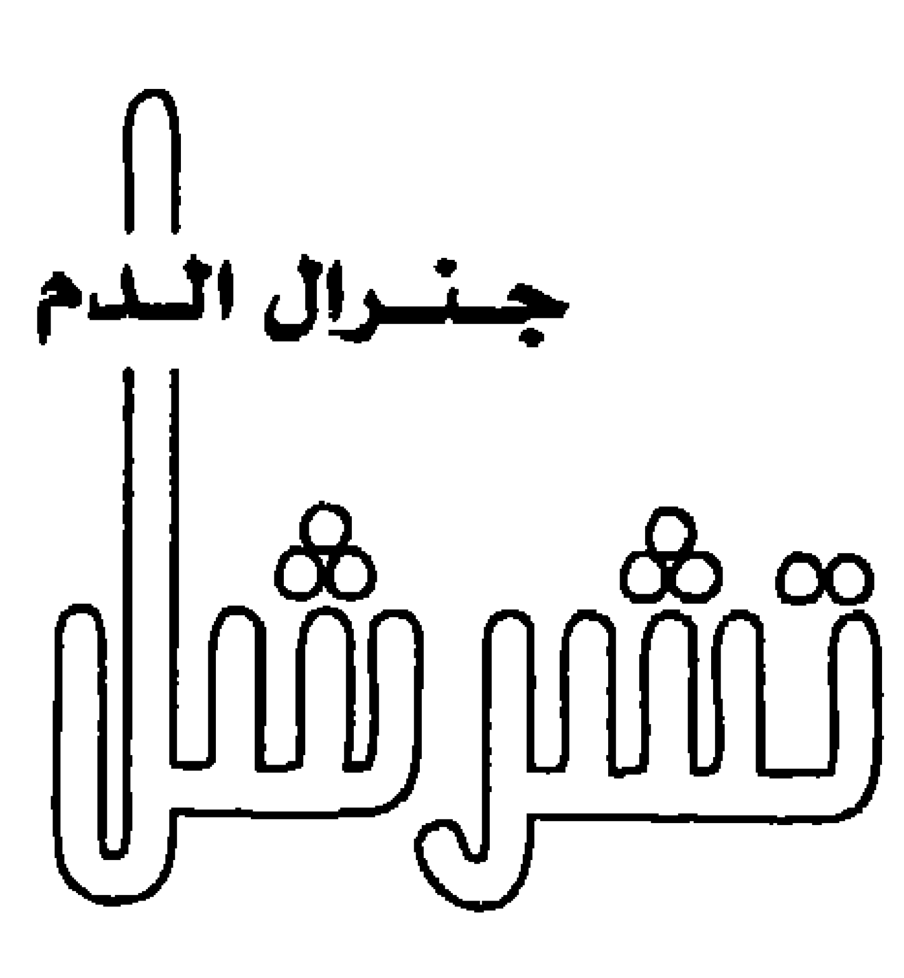

Churchill
إعداد
محمد رمضان
تشرشل
جنرال الدم
كنوز
للنشر والتوزيع



شخصيات
صنعت التاريخ

تشرشل..
جنرال الدم

إعداد

محمد رمضان

الإشراف العام

ياسر رمضان

الناشــــر

كنوز

للنشر والتوزيع

37 ش قصر النيل ـ القاهرة تليفون: 012 7717795

kenouz55@yahoo.com

التنفيذ الفنى

رواق

rewaq

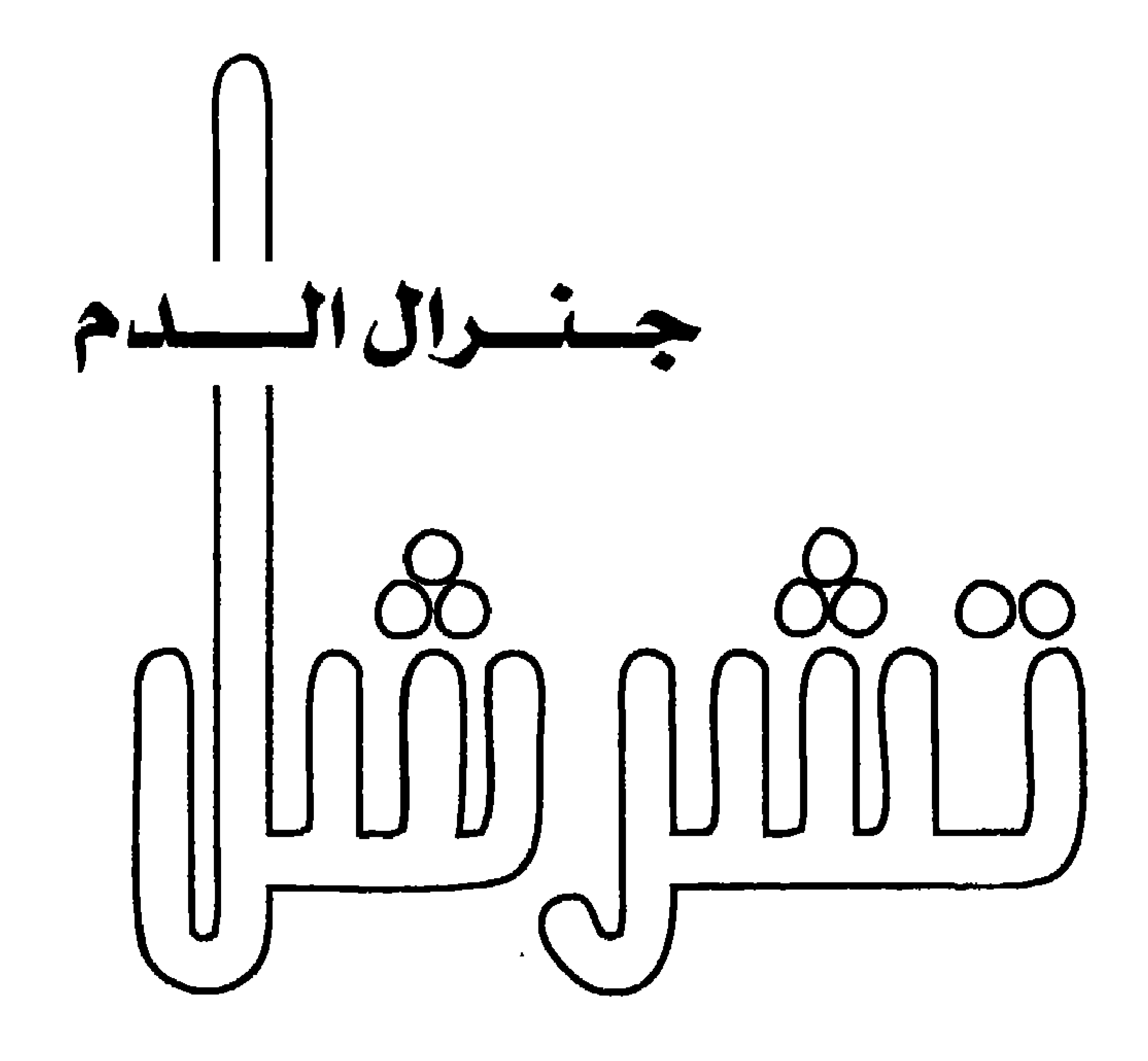
3036809

رقم الإيداع: 2008/17519

الترقيم الدولى: 977-5307-39-X



شخصيات صنعت التاريخ



إعداد

محمد رمضان





□□

- ■ ١٨٧٤ ولادة ونستون تشرشل فى ٣٠ نوفمبر.
- ■ ١٨٨٨ الانتساب إلى المدرسة الثانوية.
- ■ ١٨٩٤ التخرج من الكلية الحربية، والالتحاق بوحدة استطلاعية كانت ترافق الجيش الإسبانى فى كوبا.
- ■ ١٨٩٥ الانتقال إلى الهند وبداية رحلة التثقيف الذاتى.
- ■ ١٨٩٨ تشرشل ينشر كتابه الأول قصة قوات سهل مالاكاند.
- ■ ١٨٩٩ انتقاله إلى أفريقيا واعتقاله ثم فراره وعودته إلى الجبهة. الأمر الذى أدى إلى شهرته عالميا.
- ■ ١٩٠١ انتخابه عضوا فى البرلمان عن حزب المحافظين.
- ■ ١٩٠٤ انتقاله إلى حزب الأحرار وتوليه عدة مناصب مكنته من إدخال إصلاحات اجتماعية وتحديث القوات البحرية.
- ■ ١٩١٤ فشله فى عدة مهمات خلال الحرب العالمية الأولى، وتجريده من مناصبه.
- ■ ١٩١٦ استدعاؤه مجددا لتولى منصب وزير الإمدادات.
- ■ ١٩٢٢ سقوطه فى الانتخابات النيابية.
- ■ ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ فترة من الاضطراب وعدم الاستقرار السياسى فى حياته، وعودته إلى حزب المحافظين.

■ ١٩٣٩ استدعاؤه مجددا لقيادة القوات البحرية بعد نشوب الحرب العالمية الثانية.

■ ١٩٤٠ تشرشل يتولى رئاسة الحكومة ووزارة الدفاع.

■ ١٩٤٥ سقوط حزب المحافظين بعد ٢٠ سنة فى الحكم.

■ ١٩٥١ تشرشل يتولى رئاسة الحكومة.

■ ١٩٥٣ حصوله على لقب فارس وعلى جائزة نوبل للآداب.

■ ١٩٥٥ استقالته من رئاسة الحكومة فى عيد ميلاده الثمانين.

■ ١٩٦٥ وفاته فى ٢٤ يناير ١٩٦٥.

■ ■ ■

مقدمة

كان اسمه فلمنج، وكان فلاحا اسكتلندياً فقيراً.. وفى أحد الأيام وهو يسعى من أجل رزق أسرته، سمع استغاثة نجدة تأتى من مستنقع قريب.. فترك أدواته وجرى إلى المستنقع.. حيث وجد صبياً مذعوراً يغوص حتى وسطه فى وحل اسود، وهو يجاهد ويكافح صارخا محاولاً إنقاذ نفسه.. وهنا تدخل الفلاح الاسكتلندى المدعو فلمنج وأنقذ الغلام الصغير من موت مؤلم بطىء. فى اليوم التالى، حضرت عربة فارهة إلى منزل الفلاح الاسكتلندى البسيط.. وخرج منها نبيل أنيق وقدم نفسه على أنه والد الغلام الذى كان فلمنج قد أنقذه فى اليوم السابق.. ثم قال الرجل النبيل: إننى أريد أن اكافئك لأنك قد أنقذت حياة ابنى، فرد فلمنج قائلا: لا، أنا لا يمكننى قبول أى شىء مكافأة لما فعلته وهكذا رفض المكافأة.. وفى نفس اللحظة ظهر ابن الفلاح على باب كوخ الأسرة.. فسأله النبيل قائلاً: هل هذا هو ابنك ؟ فجاوبه فلمنج فى فخر : نعم، فقال النبيل لفلمنج: دعنى اعقد معك اتفاقًا، سأقدم على نفقتى الخاصة لابنك هذا نفس التعليم الذى سأقدمه لأبنى.. وإذا كان الصبى مثل أبيه، فبدون شك سينمو ليصير رجلا نفتخر كلانا به.. وهذا ما فعله الصبى ابن فلمنج الفلاح فقد دخل أفضل المدارس، ثم تخرج من مدرسة الطب بمستشفى سانت مارى بلندن، وصار معروفا بعد ذلك فى العالم أجمع بالسير الكسندر فلمنج، مكتشف البنسلين..!! وبعد عدة سنوات، أصيب ابن الرجل النبيل نفسه الذى كان قد أنقذ من المستنقع بالتهاب رئوى فما الذى أنقذ حياته هذه المرة؟ إنه البنسلين.. !! هل تعرف اسم هذا النبيل؟ إنه راندولف تشرشل واسم ابنه هو سير ونستون تشرشل.

والسير تشرشل هو محور حديثنا فى ذلك الكتاب، حيث لا توجد شخصية بهذا الحجم والتأثير والقدرة على الدخول إلى ساحة التاريخ من مختلف أبوابه.

وإذا كان حصول إنسان ما على جائزة نوبل فى الأدب، كافيا لتخليد اسمه مدى الحياة. فما بالك برجل حصل على تلك الجائزة، فكان هذا هو مجرد أحد أنشطته وإنجازاته.

كان سياسيا محنكا، أديبا فذا، فنانا تشكيليا مرهفا.

وقبل ان تقرأ عزيزى القارئ نود أن نذكرك بأن اهتمامنا بحياة تشرشل لا يعنى إعجابنا بفكره، أو بدوره فى التاريخ. لكن اهتمامنا هنا يرجع إلى أهمية تلك الشخصية العملاقة.

إنها شخصية لرجل فذ، استطاع النجاح فى جميع مناحى الحياة، وبرغم هذا وقع فى فخ الاكتئاب. فالسير تشرشل هو أشر مرضى الاكتئاب فى العالم باعترافه، غير أنه قاوم هذا المرض كما قاوم هتلر، لكن من الواضح أنه كان يقاوم الاكتئاب وهو يضمر إعجابا له، تماما كما كان يقاوم هتلر وهو يضمر له الإعجاب.

وقد أظهر استطلاع للرأى بمناسبة العيد الوطنى لإنجلترا أن رئيس الوزراء البريطانى الأسبق ونستون تشرشل اختير البطل المطلق لإنجلترا.

ونقلت صحيفة العرب اللندنية عن الإستطلاع بيانه إن تشرشل، الذى توفى عام ١٩٦٥ عن عمر ناهز ٩٠ عاماً، حصل على ٣٠ بالمئة من أصوات المشاركين بفضل خطاباته الحماسية ومواقفه الثابتة التى قادت بريطانيا إلى تحقيق النصر ضد هتلر فى الحرب العالمية الثانية.

وأضاف الاستطلاع أن الكثير من المشاركين اعتبروا أن تشرشل يمثل بريطانيا القديمة التى كانت قائمة على الإنضباط والسلوك المعصوم عن الخطأ والخالى من العيوب. كما اعتبروه جندياً وفناناً ومؤرخاً وأفضل رئيس وزراء فى القرن العشرين، مشيراً إلى أن المشاركين اختاروا الملكة فيكتوريا المرأة الأسمى.

واحتل تشرشل المرتبة الأولى كرمز مفضّل لدى الإنجليز، وجاء فى المرتبة الثانية القديس جورج بعد حصوله على ٢١ بالمئة من أصوات المشاركين، تلاه فى المرتبة الثالثة اللورد نلسون ١٠ بالمئة، ثم ويليام شكسبير فى المرتبة الرابعة ٨ بالمئة.

واحتل روبن هود المرتبة الخامسة ٤ بالمئة، وبوبى مور المرتبة السادسة ٤ بالمئة، والملكة فيكتوريا المرتبة السابعة ٣ بالمئة، تلاها اسحق نيوتن فى المرتبة الثامنة ٢ بالمئة، ثم هنرى الثامن فى المرتبة التاسعة ٢ بالمئة وجاء تشارلز ديكينز فى المرتبة العاشرة بعد حصوله على ١ بالمئة من أصوات المشاركين.

تشرشل شخصية غريبة غير أن تجاهلها غير ممكن.

ومن هنا كان هذا الكتاب.

■■■



□□

ونستون ليونارد سبنسر تشرشل (٣٠ نوفمبر ١٨٧٤ - ٢٤ يناير١٩٦٥)، رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية. ومن غرائب القرن العشرين التى تكاد أن لا تحصى، انه فى الوقت الذى كان رئيس الوزراء البر يطانى ونستون تشرشل يوقع على أمر بالبدء بإنتاج القنبلة الهيدروجينية، كان ونستون تشرشل الكاتب يفوز بجائزة نوبل للآداب.

ففى ١٩٥٣ مُنح ونستون تشرشل جائزة نوبل فى الآداب، ربما على سيرة حياته الذاتية. التى نالت شهرة عالمية واسعة فى حينها. ويقال إن أسلوب تشرشل فى الكتابة يُعد من بين أرفع الأساليب فى اللغة الإنجليزية. مع ذلك لم يُعرف تشرتشل كأديب. من المؤكد أن المفارقة ستكون أكبر لو أن السير ونستون فاز بجائزة نوبل للسلام، على غرار مناحيم بيجن مثلا، ولكن ذلك لا يقلل من غرابة تلك الجائزة، ولا من مواهب تشرشل المتعددة. فإلى كونه جنديا وكاتبا ورساما وسياسيا، اشتهر هذا الزعيم البريطانى بروح النكتة وبإطلاق حركات وشعارات معينة، زال بعضها لأن الزمن قد تجاوزه، مثل إطلاق اسم الستار الحديدى على الحالة الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية وانقسام أوروبا إلى شرقية وغربية؛ فيما لا يزال بعضها الآخر مستعملا حتى اليوم كرفع اليد مع فتح السبابة والإصبع الأوسط فيما يعرف بـ إشارة النصر. ولد ونستون تشرشل فى ٣٠ نوفمبر ١٨٧٤ فى قصر بلاينهام، القصر الشهير القريب من أوكسفورد، مقر حكام مقاطعة مارلبورو، وقد بنى فى عهد جده السابع، دوق مارلبورو الأول، تيمنا بالانتصارات التى حققها عام ١٧٠٤. فى هذا الجو العابق برائحة التاريخ

نشأ هذا الشاب وهناك تعرف على كليمانتين هوزييه وصارا خطيبين. وعندما كتب، فيما بعد، حياة وأيام جون تشرشل، دوق مارلبورو، شكلت قاعات ذلك القصر وحدائقه النبع الذى استقى منه تشرشل مصادر كتابه. كان والده اللورد راندولف تشرشل ووالدته أمريكية الأصل تدعى جينى جيروم. وله ابن أسماه على اسم والده، كان متعصبا للمسيحية والصهيونية العالمية حتى إنه قال فى كتابه حرب الأيام الستة:

لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود. إن القدس قد خرجت من أيدى المسلمين، وقد أصدر الكنيست اليهودى ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ولن تعود إلى المسلمين فى أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود.

توفى والده وهو فى السادسة والأربعين من عمره فى ظروف مأساوية أدت إلى تجريده من لقبه، رغم انه كان قد بدأ حياته السياسية بنجاح عظيم واستطاع أن يتولى منصب وزارة المالية وهو فى الثلاثين من العمر. وهكذا كان على تشرشل الصغير، ابن اللورد وحفيد الدوق أن يشق طريقه بنفسه وان يكسب رزقه بقلمه ولسانه، ساعدته فى ذلك والدته التى كانت دائما إلى جانبه. لم تكن حياة تشرشل مماثلة لحياة والده، بل على العكس منها تماما. فهو لم يظهر أى نجاح فى المدرسة الثانوية التى دخلها عام ١٨٨٨، حتى انه لم يتمكن من الوصول أبدا إلى الصفوف العليا. إذ كان غير مبال باللغة الإنكليزية وأدبها الكلاسيكى، مفضلا استعمال لغته الخاصة. ترك تشرشل الثانوية والتحق بالمدرسة الحربية الملكية فى ساندهيرست وتخرج منها عام ١٨٩٤. كانت مهمته الأولى مع الجيش الإسبانى فى كوبا الذى كان يقاتل الاستقلاليين الكوبيين. ثم أرسل إلى الهند حيث قضى مدة طويلة، كانت كافية لقيامه بنوع من التربية والتثقيف الذاتيين. فقد كانت أمه ترسل له صناديق من الكتب، وكان يطالعها كلها. وقد تأثر بالمؤرخين جيبون وماكولى وبنظرية داروين فى النشوء والارتقاء. عام ١٨٩٨ نشر كتابه الأول قصة قوات سهل مالاكاند، وكان بمثابة خلاصة تجربته فى الهند. نقل بعد ذلك إلى السودان والى جنوب أفريقيا حيث قام

بوظيفته كجندى ويعمل آخر هو مراسلة صحيفة مورننج بوست. قبل نهاية القرن كانت شهرة تشرشل قد عمت أرجاء العالم الغربى. فقد قامت قوات البوير فى أفريقـيا الجنوبية باعتقاله، ولكنه تمكن من الفرار عبر جمهورية وسط أفريقيا وعاد مجددا إلى جبهة القتال فى الناتال. وقد كتب تشرشل قصة هروبه من المعتقل وعودته إلى الجبهة فى كتابين صغيرين، ثم قام بجولة فى الولايات المتحدة، ألقى خلالها محاضرات عن هربه. وقد جعلت تلك الجولة اسمه على كل شفة ولسان، كما أن المبلغ الذى جناه من تلك الجولة مكنه من دخول البرلمان (لم يكن أعضاء البرلمان فى ذلك الحين يتقاضون أية رواتب فى ذلك الحين). فى ٢٣ كانون الثانى ١٩٠١ انتخب تشرشل عضوا فى البرلمان ممثلا حزب المحافظين عن دائرة اولدهام. ولكن تعاطفه مع قضية الوطنيين الأفريقيين، التى اختبرها عن كثب، واعتراضه على عدد من مشاريع القوانين سرعان ما دفعاه إلى ترك المحافظين والانضمام إلى حزب الأحرار (١٩٠٤). ومن هناك بدأت رحلته فى السياسة، إلى جانب متابعته الكتابة. أول منصب تقلده كان نائب وزير المستعمرات. وقد لعب دورا هاما فى إنهاء حرب البوير. عام ١٩٠٦ نشر كتابا عن سيرة حياة والده اللورد راندولف تشرشل، وفى ١٩٠٨ كتاب رحلتى الأفريقية. وفى السنة نفسها تزوج من الفتاة التى التقاها فى طفولته، كليمانتين هوزييه، وقد انجبا صبيا واربع بنات توفيت إحداهن وهى طفلة. ساعدته المناصب التى تولاها فى بداية حياته السياسية على إدخال تشريعات هامة فى مجالات المساعدات الاجتماعية، منها الضمان الصحى وتعويضات البطالة. وفيما بين ١٩١٠ - ١٩١٥ ساهم مع وزير البحرية اللورد فيشر فى عصرنة الأسطول البريطانى فى مواجهة القوة البحرية الهائلة التى أنشأتها المانيا. مع بدء الحرب العالمية الأولى واحتلال الألمان لبلجيكا، قاد تشرشل حملة مضادة، إلا أنها فشلت فى تحقيق أهدافها. ولم تكن محاولته احتلال الدردنيل لعزل تركيا عن أوروبا أفضل حالا. وقد اجبر تشرشل على تحمل الفشل فى الحالتين. وعندما سقطت حكومة الأحرار وحلت محلها حكومة ائتلافية من الأحرار والمحافظين (١٩١٥)، كان الشرط الأول للمحافظين

للقبول بالتحالف هو تجريد تشرشل من منصبه كقائد للقوات البحرية. بدا لتشرشل ان حياته السياسية قد انتهت، فتعلم الرسم، كهواية وكتعزية. ولكنه بقى يمارسه حتى نهاية حياته. لم يغب تشرشل عن المسرح طويلا، إذ سرعان ما دعاه رئيس الوزراء لويد جورج إلى تولى منصب وزير الإمدادات العسكرية (١٩١٦). وبنهاية الحرب صار وزير الدولة لشؤون الحرب والقوات الجوية، حيث عمل على تحديث القوات الجوية البريطانية، وصار هو نفسه طيارا. سقط تشرشل فى انتخابات ١٩٢٢ وابتعد مؤقتا عن السياسة، ثم عاش فترة مضطربة تنقل خلالها بين عضوية حزب المحافظين وحزب الأحرار. كما تسلم عدة مناصب وزارية، إلا انه لم يكن سعيدا بالصلاحيات المحدودة التى منحت له فابتعد عن السياسة تماما فى الأعوام العشرة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٩، وانصرف إلى الكتابة والى ممارسة هوايته الجديدة الرسم. ونشر طفولتى (١٩٣٠)؛ مارلبورو (٤ أجزاء ١٩٣٣ – ١٩٣٨)؛ أفكار ومغامرات (١٩٣٢)؛ معاصرون عظماء (١٩٣٧). مع بداية الحرب العالمية الثانية كان لا بد من الاستعانة بتشرشل نظرا لخبرته والجهود التى بذلها لتنظيم القوى البحرية والجوية عندما كان فى السلطة. فعين قائدا أعلى للبحرية. ولكن الهجوم الألمانى على أوروبا كان سريعا وفعالا. فسقطت بولندا والبلاد المنخفضة وتبعتها فرنسا، دونما مقاومة تذكر. بحلول العاشر من مايو١٩٤٠، وفى وسط الكارثة التى كانت آثارها قد بدأت بالظهور اختير تشرشل ليكون الزعيم والقائد الأول لبريطانيا، فتولى منصبى رئاسة الحكومة ووزارة الدفاع على مدى السنوات الخمس التالية. فى البداية كان على بريطانيا أن تحارب وحدها، إذ لم يكن من قوة أوروبية قادرة على ذلك. وكان على تشرشل أن يستنهض همم الأوروبيين للقيام بأعمال المقاومة ضد الألمان، وأن يدافع عن حدود بريطانيا نفسها. وكانت مهمته صعبة لأن بريطانيا خسرت العديد من معداتها الحربية اثر احتلال فرنسا وأثناء محاولة إخلاء دنكرك. ولكن تشرشل عمل سريعا على احتضان حركة المقاومة الفرنسية التى قادها ديجول، وعلى صداقته للرئيس الأمريكى روزفلت، التى بدأت نتائجها تظهر من خلال تزويد الأوربيين بالسلاح والعتاد أولا ثم فى دخول الولايات المتحدة نفسها الحرب

وتشكيل ما عرف بقوات الحلفاء. بعد فترة من نشوب الحرب تولد لدى تشرشل نوع من الاعتقاد بأن ألمانيا لن تجازف بمحاولة احتلال بريطانيا. وقد شجعه ذلك على إرسال واحدة من الفرقتين العسكريتين الباقيتين فى الجزيرة إلى مصر للامساك بالمعبر الأساسى إلى الشرق الأقصى. ولكن نقطة التحول فى الحرب كانت استفادته من الأخطاء التى ارتكبها أعداؤه. فهجوم ألمانيا على الاتحاد السوفياتى دفع ستالين إلى إعلان الحرب، كما أن الهجوم اليابانى على بيرل هاربر، واستغلاله من قبل هتلر لإعلان الحرب على الولايات المتحدة، تركا مجالا ضيقا للاختيار أمام الرئيس الأمريكى روزفلت. وهكذا انقسم العالم إلى حلفين كبيرين، ألمانيا وإيطاليا واليابان من جهة، وأمريكا والاتحاد السوفياتى وبريطانيا وحكومة فرنسا فى المنفى برئاسة ديجول. وكان أن انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة كبرى للحلف الأول، وبانتصار تشوبه عدة شوائب بالنسبة للحلف الثانى. وقد ظهرت بوادر ذلك فى مؤتمرى طهران ويالطا اللذين عقدا بحضور روزفلت وتشرشل وستالين وديجول. وفيهما ظهر الخلاف الواضح بين تشرشل الذى أراد الحد من التوسع السوفياتى داخل أوروبا، وبين روزفلت الذى لم يجاره فى هذا الأمر. وكانت النتيجة أن الاتحاد السوفياتى صار صاحب نفوذ على معظم دول أوروبا الشرقية. بعد استسلام ألمانيا، مايو ١٩٤٥، قاد تشرشل مواكب المحتفلين بالنصر فى شوارع لندن، إلا انه - كما ورد فى أحد كتبه - كان يشعر بغصة فى القلب لعدم قدرته على الحد من النفوذ الشيوعى داخل أوروبا. وقد تبع ذلك، وفى اقل من شهرين، وحتى قبل استسلام اليابان، سقوط حكومته فى انتخابات يوليو ١٩٤٥. ومرة أخرى شعر تشرشل بغصة رغم علمه أن نتيجة الانتخاب لم تكن موجهة ضده بمقدار ما كانت تعبيرا عن رغبة البريطانيين بالتجديد بعد عشرين سنة من حكم المحافظين. بعد تولى حزب العمال الحكم، انصرف تشرشل إلى الكتابة والرسم، فكتب مؤلفه الضخم الحرب العالمية الثانية (٦ أجزاء ١٩٤٨ - ١٩٥٣)، كما عرض لوحاته دوريا فى الأكاديمية الملكية. عاد تشرشل إلى رئاسة الوزارة مجددا عام ١٩٥١ وهو فى السابعة والسبعين من العمر، واستمر حتى العام ١٩٥٥، عندما استقال فى عيد ميلاده الثمانين فى التاسع من أبريل، ولكن ليس قبل أن يحقق أمنيات عزيزة على قلبه. فقد

شارك فى تتويج الملكة الفذية اليزابيت الثانية (يونيه ١٩٥٣) بصفته فارسا (Sir)، ونال جائزة نوبل للآداب فى السنة نفسها. وبمناسبة نوبل فإننا نقول إنه فى كل عام، يحتدم الجدل على أشده حول (نوبل) وجائزته المشبوهة التى لا تُمنح إلا لمن أحاطت حياتهم الاتهامات والشكوك والريب، ولا يختار المحكّمون إلا الأعمال الشاذة التى تدعو إلى العنصرية وتحرّض على الكراهية!

إنّ أمر هذه الجائزة عجيب للغاية.. فأول ما يلفت انتباهنا فى هذا الصدد، هو أنه يشترط أن يكون الفائز بالجائزة ممن قدموا خدمة تهدف إلى سعادة الإنسانية وتحقيق السلام، وهذا الشرط نفسه يحمل بداخله أول تناقض واضح بصدد الجائزة، هذا التناقض هو فى أن مؤسس الجائزة ألفرد بيرنهار نوبل -عالم الكيمياء السويدى ومخترع الديناميت عام ١٨٦٧، المولود عام ١٨٣٣ والمتوفى عام ١٨٩٦) قد أسس الجائزة من الأرباح السنوية لمصانع الديناميت والأسلحة التى اخترعها، ومع ذلك فقد وقف الجائزة بكل فئاتها على من يقدمون خدمات عظيمة لخدمة البشرية والسلام. لذا، فالقيمة السنوية للجائزة تتذبذب كثيرا، فقد تهبط عاماً وقد تعلو أعواما، لأن ذلك يتوقف على مقدار الأرباح.

وهنا نقطة التناقض: من أرباح السلاح السنوية -سلاح التدمير والموت- تقدم الجائزة لمن يخدمون السلام وسعادة البشر!

وإن أول من فاز بهذه الجائزة عام ١٩٠١ هو الكاتب الفرنسى سوللى برودم، وآخر من فاز بها هذا العام ٢٠٠٧ المجتمع هى الروائية البريطانية doris may taylerوبين هذين الفائزين قائمة طويلة تدخل فيها أسماء لامعة ذات شهرة عالمية واسعة، وأسماء أخرى لم تجد لها مجداً يذكر إلا عن طريق هذه الجائزة.. أما البلد الذى نال أكبر عدد من الجوائز هو فرنسا، فقد أصابها حتى اليوم خمس عشرة جائزة، ثم تتساوى بريطانيا وأمريكا فى أن كلا منهما قد فازت بثمانى جوائز، ثم إيطاليا التى فازت بسبع جوائز، وهكذا تمضى القائمة نزولاً فى العدد.

المهم أن مسلسل الفضائح والمتناقضات رافق هذه الجائزة منذ إعلان اسم الفائز الأول بها الكاتب الفرنسى المغمور بريدوم وبذلك تخطت الجائزة الأديب الروسى الشهير تولستوى، والكاتب الأديب الأيرلندى الفذ برناردشو، وغيرهما من أدباء العصر! وكم كان الأمر مدهشاً حين بررت اللجنة اختيارها لبريدوم بالقول: نظراً لمتانته الأخلاقية وحفاظه على القيم! وقد استفز هذا الاختيار كل أدباء العالم وفى مقدمتهم أدباء السويد أنفسهم الذين وصفوا البروفيسور ويرسين أمين عام لجنة الجائزة بالجهل والتفاهة والغباء. وإن من المفارقات العجيبة أن ينال هذه الجائزة عام ١٩٠٧ الشاعر الإنجليزى رديارد كبلنج -شاعر الإمبراطورية البريطانية آنذاك، أو بمعنى آخر شاعر الاستعمار البريطانى، وصاحب المقولة المشهورة: الشرق شرق والغرب غرب، ولن يلتقيا- وقد أثار فوزه موجة عارمة من السخط على الجائزة- لأنه من المفترض ألا ينال الجائزة إلا من يقدمون خدمة عظيمة للسلام وخير البشرية، كما تنص على ذلك وصية مؤسس الجائزة.. وأين كبلنج من ذلك؟! إن شاعراً يضع قلمه وضميره وعبقريته فى خدمة الاستعمار والتوسع واستعباد الأمم والشعوب لا يستحق هذا التكريم العالمى العظيم أبدا، لأنه يتناقض مع الهدف الرئيسى للجائزة. ولكن كبلنج لم يكن هو الوحيد الذى فاز بالجائزة من هذا الطراز، ففى عام ١٩٥٣، وفى أتون الحرب العالمية الثانية، فاز السياسى البريطانى الأكبر ونستون تشرشل بالجائزة نفسها - جائزة نوبل للآداب، لا للسياسة ولا للحرب- ومع أن تشرشل كان كاتباً بارعا، وكان يشارك أحيانا فى الحياة الأدبية، إلا أن الرجل لم يقدم أدباً يخدم البشرية أو يخدم السلام، بل المعروف عنه -شرقا وغربا- أنه من أعظم عباقرة الاستعمار البريطانى وجبابرته الأفذاذ، وفى عنقه حبل طويل من المظالم والدماء ضد شعوب كثيرة فى مختلف القارات! إن كبلنج وتشرشل نموذجان صارخان من نماذج التناقض الصريح الصارخ فى الصلة بين جائزة نوبل للآداب وهدفها الأساسى، هذه الجائزة التى ولدت أصلا من تناقض رئيسى وتلاقح غير طبيعى بين (صنع السلاح) و(خدمة السلام)!

لم ينقطع تشرشل عن ممارسة السياسة بل تابع حضور جلسات مجلس العموم حتى يوليو ١٩٦٤، حيث تقاعد إلى أن وافته المنية فى ٢٤ يناير ١٩٦٥. وقد أقيم له مأتم رسمى وشعبى ودفن فى حديقة الكنيسة الصغيرة التابعة لقصر بلاينهايم حيث ولد قبل تسعين سنة. من أقواله: انا شخصياً قلبى يمتلئ بالعطف على الصهيونية وهذا العطف موجود منذ ٢١ سنة عندما كنت على اتصال بيهود مانشستر، واعتقد ان انشاء وطن قومى لليهود سيكون برعاية للعالم كله!! بركة للعرق اليهودى المبعثر فى جميع انحاء العالم وبركة لبريطانيا العظمى!! واعتقد بقوة انه سيكون بركة لجميع سكان هذا البلد!! بدون تمييز عرق او دين وهذه البركة الاخيرة تعتمد عليكم ووعدنا لكم مزدوج، لقد وعدنا بمساعدة الصهيونية ووعدنا السكان اليهود ألا يعانوا بعد اليوم.

■ ■ ■



□□

ذكرنا فى السطور السابقة سجلا لحياة تشرشل وفى السطور القادمة سنحاول أن نلقى ضوءا على تلك الحياة من زوايا أخرى وبعبارات أخرى،

إن ونستون تشرشل، ينتمى إلى أسرة بريطانية محافظة سياسيًا. ولدفى ٣٠ نوفمبر ١٨٧٤ فى قصر بكينهام فى محافظة اكسفورد شاير، بريطانيا اشتهر بتدخينه السيجار. وربما تساعدنا القصتان الآتيتان على فهم شخصيته بصورة أكبر:

فاقرؤوا هاتين القصتين عن من ينظر له الإنجيلز باعتباره البطل العظيم قائد معركة التحرير فى انجلترا ونستون تشرشل أيام الحرب العالمية الثانية والتى إن دلت على شىء فهى تدل على مدى عظمة هذا الرجل واعتزازه بقيمه وأخلاقه وقيمة العدل

الحكاية الأولى:

انه فى ظل الحرب العالمية الثانية عقد رئيس الوزراء ونستون تشرشل اجتماعا وزاريا وقام بسؤال كل وزير عن وزارته.. . فسأل وزير الصحة فرد عليه الوزير بأن الصحة فى تأخر وأعداد الوفيات فى ازدياد، ثم سأل وزير الأقتصاد فأجابه بأن الاقتصاد مدمر والشعب يعانى الامرين، ثم أخير سأل وزير العدل فرد عليه الوزير بأن العدل منتشر فى البلاد.. . فقال تشرشل بمنتهى الثقة: إذن سوف ننتصر !!!

الحكاية الثانية :

فى خضم الحرب العالمية الثانية وكانت انجلترا كلها توجه كل طاقاتها للحرب وكان من الطبيعى بناء العديد من القواعد العسكرية والمطارات كل فترة.. . وصلت رسالة

لونستون تشرشل من أحد القضاة يطلب فيها نقل أحد المطارات العسكرية بعيدا عن مكان المحكمة التى يعمل فيها وذلك لان صوت الطائرات تؤثر عليه ويخشى ان يؤدى هذا للتأثير على عمله كقاض.. . طبعا كان من الطبيعى أن يتجاهل تشرشل هذا المطلب فى ظل الظروف الراهنة.. . الا ان تشرشل أمر بنقل المطار العسكرى لمنطقة اخرى بعيدا عن المحكمة، وقال: أفضل أن تخسر بريطانيا الحرب عن أن يظلم مواطن برىء واحد !!!

كان والده اللورد راندولف تشرشل ووالدته أمريكية الأصل تدعى جينى جيروم. توفى والده وهو فى السادسة والأربعين من عمره فى ظروف مأساوية أدت إلى تجريده من لقبه، رغم انه كان قد بدأ حياته السياسية بنجاح عظيم واستطاع أن يتولى منصب وزارة المالية وهو فى الثلاثين من العمر. وهكذا كان على تشرشل الصغير، ابن اللورد وحفيد الدوق أن يشق طريقه بنفسه وان يكسب رزقه بقلمه ولسانه، ساعدته فى ذلك والدته التى كانت دائما إلى جانبه. لم تكن حياة تشرشل مماثلة لحياة والده، بل على العكس منها تماما. فهو لم يظهر أى نجاح فى المدرسة الثانوية التى دخلها عام ١٨٨٨، حتى انه لم يتمكن من الوصول أبدا إلى الصفوف العليا. إذ كان غير مبال باللغة الإنجليزية وأدبها الكلاسيكى، مفضلا استعمال لغته الخاصة. ترك تشرشل الثانوية والتحق بالمدرسة الحربية الملكية فى ساندهيرست وتخرج منها عام ١٨٩٤. كانت مهمته الأولى مع الجيش الإسبانى فى كوبا الذى كان يقاتل الاستقلاليين الكوبيين. ثم أرسل إلى الهند حيث قضى مدة طويلة، كانت كافية لقيامه بنوع من التربية والتثقيف الذاتيين. فقد كانت أمه ترسل له صناديق من الكتب، وكان يطالعها كلها. وقد تأثر بالمؤرخين جيبون وماكولى وبنظرية داروين فى النشوء والارتقاء. عام ١٨٩٨ نشر كتابه الأول قصة قوات سهل مالاكاند، وكان بمثابة خلاصة تجربته فى الهند. نقل بعد ذلك إلى السودان والى جنوب أفريقيا حيث قام بوظيفته كجندى وبعمل آخر هو مراسلة صحيفة مورننغ بوست. أول منصب تقلده كان نائب وزير المستعمرات. وقد لعب دورا هاما فى إنهاء حرب البوير مع بداية الحرب العالمية الثانية كان لا بد من الاستعانة

بتشرشل نظرا لخبرته والجهود التى بذلها لتنظيم القوى البحرية والجوية عندما كان فى السلطة. فعين قائدا أعلى للبحرية. ولكن الهجوم الألمانى على أوروبا كان سريعا وفعالا. فسقطت بولندا والبلاد المنخفضة وتبعتها فرنسا، دونما مقاومة تذكر. بحلول العاشر من مايو ١٩٤٠، وفى وسط الكارثة التى كانت آثارها قد بدأت بالظهور اختير تشرشل ليكون الزعيم والقائد الأول لبريطانيا، فتولى منصبى رئاسة الحكومة ووزارة الدفاع على مدى السنوات الخمس التالية تولى الوزارة عام ١٩٤٠ لمواجهة الخطر النازى بعد إستقالة تشامبرلين من رئاسة الوزراء. وهو الذى رفع معنويات شعبه اثناء الحرب ولم يخضع الى هتلر. قال له هتلر اننا لا نريد محاربتك نحن نريد استسلامك ولكن تشيرشل لم ينصع وقاوم حتى النهاية وكان النصر حليفًا له. وقد كشفت وثائق رسمية بريطانية تم أخيراً نزع صفة السرية عنها، عن أن رئيس الوزراء الأسبق ونستون تشرشل، كان مصمماً على انزال حكم الإعدام بزعيم النازية الألمانية أدولف هتلر، فى حال قبض عليه حياً. وتبيّن وثيقة تعود الى السير نورمان بروك، وهو نائب سكريتير مجلس الوزراء فى تلك الفترة، أن تشرشل قال فى اجتماع عقده مجلس الوزراء البريطانى فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٢ «فكروا بأنه إذا وقع هتلر فى أيدينا، فإننا سنعدمه حتماً» وأضاف رئيس الوزراء، مشيراً إلى عدوه اللدود «هذا الرجل هو نبع الشر» يُشار إلى أن الوثائق التى أفرج عنها أخيراً، تضم أوراقاً رسمية توثق المناقشات التى اجرتها الحكومة بين عامى ١٩٤٢ و٤٥، بشأن أسلوب التعامل مع كبار النازيين، فى حال القبض على زعيمهم نفسه. وتدل إحدى الوثائق على أن وزير الداخلية هربرت موريسون قال فى أبريل (نيسان) ١٩٤٥ إن من الأفضل «الإعلان عن أننا سنعدمهم جميعاً» بدلاً من اخضاعهم لمحاكمات غير نزيهة. بدأ حياته العملية فى الخدمة العسكرية فى الهند وكوبا والسودان عام ١٨٩٥، وعمل مراسلاً حربيًا، وأُسر فى حرب البوير فى جنوب أفريقيا. وبعد عودته انتخب نائباً عن حزب المحافظين فى البرلمان. وبعد ٤ سنوات انضم إلى حزب الأحرار، وبدأ يتقلد مناصب رفيعة؛ إذ عُين وزيراً للتجارة (١٩٠٨-١٩١٠م) ثم وزيراً للداخلية فوزيراً للحربية عام ١٩١١م، وبعدها عُين

وزيراً للذخائر الحربية والطيران ثم استلم وزارة المستعمرات بعد أن وُضِعت فلسطين تحت الانتداب الإنجليزى سنة ١٩٢٠م. توجه تشرشل وزير المستعمرات سنة ١٩٢١م إلى مصر وفلسطين، واطلع خلال زيارته على المشكلة التى يعانى منها العرب الفلسطينيون نتيجة خطورة وعد بلفور على مستقبلهم، واستمع تشرشل إلى المشكلة من الوفد العربى برئاسة موسى كاظم الحسينى الذى طالب بإلغاء وعد بلفور كليًا، وبعد عودته إلى لندن بشهر اندلعت موجة جديدة من العنف صعدت مزيداً من الضحايا، وفى صيف العام نفسه غادر وفد عربى إلى لندن وقابل تشرشل بصفته وزيراً للمستعمرات فى الحكومة البريطانية، وألح الوفد على تشرشل لإلغاء وعد بلفور، لكن تشرشل استخف بالعرب ولم يُبدِ اهتماماً كبيراً بقضاياهم. يُعدُّ الكتاب الأبيض الذى أصدره تشرشل ووافق عليه البرلمان البريطانى سنة ١٩٢٢م من أهم الوثائق وأخطرها للتطورات اللاحقة؛ فقد تضمن هذا الكتاب شرحاً من وزارة المستعمرات لطبيعة السياسة البريطانية فى فلسطين وتفسيرها لوعد بلفور. وجاء فيه أن الغرض ليس تحويل جميع فلسطين إلى وطن يهودى، بل إقامة هذا الوطن فى جزء منها، على أن لا يؤدى ذلك إلى إخضاع السكان العرب أو اختفاء اللغة أو الثقافة العربية. ونفى الكتاب تصريح وايزمن بالعزم على أن تكون فلسطين يهودية كما أن أمريكا أمريكية، ونفى حجة العرب بتعهدات إنجلترا إلى الشريف حسين، وأصر على استثناء فلسطين من التعهدات. وأكد الكتاب تمسك إنجلترا بوعد بلفور، وبأن وجود الشعب اليهودى فى فلسطين يقوم على حق. عُرف عن تشرشل نزعته الأرستقراطية البعيدة عن الشعب فى الداخل، والاستعمارية المتطرفة فى الخارج. وكان صهيونيًا متطرفاً لعب دوراً خطيراً فى دعم مشروع إقامة دولة صهيونية على حساب العرب فى فلسطين كما اتضح من خلال الكتاب الأبيض.

■ ■ ■



اليهود

□□

فى سابقة هى الاولى من نوعها كشف عن مقال كان الزعيم البريطانى الراحل ونستون تشرشل قد كتبه فى بداية الحرب العالمية الثانية يتناول فيه حقائق عن المعاناة المصطنعة من قبل اليهود ويرجع السبب فى اضطهادهم كونهم يستغلون الضعفاء فيما بينهم، ونظرتهم الاستعلائية للمجتمعات الاخرى كافة، وعدم استطاعتهم التاقلم والتجانس مع الاخرين مما كان السبب وراء ازدراء الشعوب الاخرى لهم.

وكأنما كان الرأى العام البريطانى و(الدولى) ينتظر ان يأتى التقييم الموضوعى على يد صانعى القرار فى تلك المرحلة، وفى طليعتهم رمز عظمة بريطانيا وأوروبا انذاك ونستون تشرشل.

وكشف عن المقال الذى كتبه رئيس الوزراء البريطانى الراحل عام ١٩٣٧، يؤكد فيه مسؤولية اليهود عن المأساة التى حلت بهم، وعن العدائية التى عانوا منها داخل المجتمع الأوروبى أو غيره، بسبيب حرصهم على الظهور المتباهى وبذريعة ان اليهودى مختلف عن سواه من البشر وانهم شعب الله المختار.

وعنوان المقال هو كيف يمكن ان يتصدى اليهود للاضطهاد، لكنه لم ينشر وقتذاك. وقد عثر عليه احد المؤرخين البريطانيين فى أرشيف تشرشل ونشره للمرة الأولى.

تطرق تشرشل فى مقاله الى معاداة السامية، التى كانت سائدة فى أوروبا والولايات المتحدة وما تلاها من اضطهاد النظام النازى الحاكم فى المانيا لليهود منذ عام ١٩٣٣ والذى بلغ ذروته ابان الحرب العالمية مع المحرقة ومقتل ستة ملايين يهودى أوروبى.

وقال تشرشل قبل ثلاث سنوات من تسلمه رئاسة الحكومة من السهل ان ننسب العداء لليهود الى نزعة الشر لدى الذين اضطهدوهم، لكن ذلك لا يتطابق مع جميع الوقائع.

وأوضح ان العداء للسامية موجود فى دول يتساوى فيها اليهود مع الاغيار امام القانون، وحيث وجد الكثير منهم ليس فقط الملجأ، وانما الفرص أيضا.

واضاف يجب ان تؤخذ هذه الوقائع بالاعتبار فى اى تحليل لمعاداة السامية، مشيرا الى ضرورة اخذها بالاعتبار من قبل اليهود انفسهم بصورة خاصة.

وقال قد يكونون تسببوا باضطهاد انفسهم عن غير قصد، وبالتالى مسؤولين جزئيا عن العدائية التى يعانون منها.

وأكد تشرشل ان الواقع الأساسى الذى يحكم العلاقات بين اليهودى وغير اليهودى هو ان اليهودى (مختلف)، فمظهره مختلف كما انه يفكر بشكل مغاير فى حين ان تقاليده وإرثه الثقافى غير مشابه للآخرين، فهو يرفض ان يتم استيعابه من قبل الغير.

وتابع انه ليست هناك فضيلة فى السكوت عن الشر، فقيمة الإنسان تكمن فى الاعتراض على الوحشية والخطأ والكفاح من أجل القضاء عليهما.

وقد اكتشف المؤرخ ريتشارد توى المقال ضمن أرشيف تشرشل الذى تحتفظ به جامعة كامبريدج. وفى تلك الفترة، قال له مساعده ان نشره امر لا ينصح به.

ويذكر ان غالبية البريطانيين اعتبرت تشرشل اعظم مواطن فى تاريخ البلاد، وذلك فى استطلاع للرأى اجرته هيئة الاذاعة البريطانية (بى. بى. سى) عام ٢٠٠٢.

وأكد توى، وهو أستاذ محاضر فى جامعة كامبريدج بينما يعرف الجميع ان تشرشل لم يكن معاديا للسامية، لكن هذا (المقال) يلقى ضوءا جديدا مذهلا على آرائه بشأن اليهود والتى كانت متناقضة للغاية.

وأثناء التمحيص فى السجلات الخاصة بتشرشل، والتى تملكها الجامعة عثر المؤرخ على المقال الذى لم ينشر من قبل فى كومة من الأوراق وقصاصات الصحف.

وكتب المقال عام ١٩٣٧ ولكن لم يتم نشره لعدم العثور على جهة تقبل نشره! وعام ١٩٤٠ قررت صحـ يفة صنداى ديسباتش البريطانية نشره، ولكن حين تقدمت بطلب رسمى الى مكتب تشرشل تم رفض طلبها. وقال المكتب انه لا يوصى بنشر المقال.

وبعد أسابيع أصبح تشرشل رئيسا للوزراء وخاض حربا ضد الحكم النازى.

وقال توى خلال مقابلة مع رويترز انه (تشرشل) ربما غير رأيه، حينما درس الأمر مرة أخرى، ربما اعتقد انه لم يكن أفضل شىء يمكن قوله.

واكتشف توى المقال اثناء بحثه للاعداد لكتاب لويد جورج وتشرشل خصوم من أجل العظمة.

وانتقد تشرشل ما وصفه بالتحفظ الذى يتسم به اليهود مما يعزلهم عن المجتمع الذى يعيشون فيه وحثهم على بذل مزيد من الجهد للاندماج فى المجتمع.

ووجه تشرشل فى مقاله انتقادات لليهود الذين كانوا يعملون فى صناعة الملابس فى بريطانيا بسبب استغلالهم للاجئين اليهود الهاربين من النظام النازى للعمل بأجور زهيدة. كما عاب على اللاجئين أنفسهم لاستعدادهم لقبول تلك الاجور.

واعتبر مكتشف مقال تشرشل البروفيسور توى اعتقد ان القاء اللوم على الضحية لتعرضها للاضطهاد امر غير صائب. هناك الكثير من المنطق الملتوى فى هذه الفكرة.

وتكهن توى بأن سبب عدم نشر المقال حتى اليوم هو تأثيره المحتمل على الرأى العام فقول مثل هذه الامور فى عام ١٩٣٧ يختلف تماما عن قولها فى عام ١٩٤٠ حينما كانت بريطانيا تخوض حربا (ضد الحكم النازى).

وعلى الرغم من موقف ونستون تشرشل المضاد للنازية، فان نشر مقال مجهول له يحمل فيه اليهود مسؤولية عن «العدائية التى يعانون منها» قد أثار الكثير من الجدل والاتهامات بعدائه للسامية.

وحسب تقرير وكالة الانباء الفرنسية، فان المقال الذى كتبه رئيس الوزراء البريطانى خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٧ عزا هذه العدائية الى كون «اليهودى (مختلف)».

وتطرق تشرشل فى مقاله الى معاداة السامية التى كانت سائدة فى اوروبا والولايات المتحدة وما تلاها من اضطهاد النظام النازى الحاكم فى المانيا لليهود منذ عام ١٩٣٣ والذى بلغ ذروته ابان الحرب مع المحرقة ومقتل ستة ملايين يهودى اوروبى.

وقال تشرشل قبل ثلاث سنوات من تسلمه رئاسة الحكومة «من السهل ان ننسب (العداء لليهود) الى نزعة الشر لدى الذين اضطهدوهم، لكن ذلك لا يتطابق مع جميع الوقائع»

وأوضح ان العداء للسامية «موجود فى دول يتساوى فيها اليهود مع الاغيار امام القانون، وحيث وجد الكثير منهم ليس فقط الملجأ انما الفرص ايضا»

وأضاف «يجب ان تؤخذ هذه الوقائع بالاعتبار فى اى تحليل لمعاداة السامية» مشيرا الى «ضرورة اخذها بالاعتبار من قبل اليهود انفسهم خصوصا» وقال «قد يكونون تسببوا بالاضطهاد عن غير قصد وبالتالى هم مسؤولون جزئيا عن العدائية التى يعانون منها»

وأكد ان «الواقع الاساسى الذى يحكم العلاقات بين اليهودى وغير اليهودى هو ان اليهودى «مختلف (.. .) فمظهره مختلف كما انه يفكر بشكل مغاير فى حين ان تقاليده وإرثه الثقافى غير مشابهة للآخرين، فهو يرفض ان يتم استيعابه من قبل الغير»

يذكر ان غالبية البريطانيين اعتبرت تشرشل اعظم مواطن فى تاريخ البلاد، وذلك فى استطلاع للرأى أجرته هيئة الاذاعة البريطانية «بى بى سى»عام ٢٠٠٢.

ولكن مؤرخ تشرشل سير مارتن جلبرت، أكد لصحيفة «الاويزرفر»ان تشرشل لم يكتب هذا المقال، وانما كتبه مساعده آدم مارشال دستون. ويضيف جلبرت أن تشرشل قد ارسل تعليمات محددة لدستون بمحتوى المقال، إلا ان الاخير لم يلتزم بهذه التعليمات، وبالتالى فان تشرشل أوقف طباعة المقال.

غير أن هذا لا يعنى عداء تشرشل لليهود بالعكس فقد ذكرنا سابقا أنه كان من أكبر المناصرين لهم وقد صدر مؤخرا عن سيمون آند شوستر ودار هنرى هولت كتاب تشرشل واليهود لمؤلفه سير مارتن جلبرت.

واعتبر اليهود الكتاب عملية تأصيل لعلاقة تاريخية جمعتهم بشخصية عالمية كبرى، لطالما أسدت خدمات جليلة للصهيونية العالمية، وساهمت بنصيب غير قليل فى إقامة دولتهم.

يعتبر مارتن جلبرت أشهر مؤرخ بريطانى فى الوقت الراهن، والذى منحته الملكة إليزابيث لقب سير فى عام ١٩٩٥ تقديراً لخدماته للتاريخ البريطانى، والمعروف بأنه الكاتب الرسمى لسيرة رئيس الوزراء البريطانى الراحل تشرشل، ومن أشهر أعماله حياة وينستون تشرشل.

ونقلت جريدة الوطن السعودية قول جلبرت فى بداية كتابه: من خلال مراجعتى لأوراق تشرشل الخاصة، وقصاصات الصحف، والرسائل المتبادلة بينه وبين زعماء اليهود والحركة الصهيونية، وخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية، أحاول هنا استكشاف أسباب إيمان تشرشل، والتزامه الراسخ بحقوق اليهود، والنتائج التى ترتبت على ذلك، لأفتح نافذة جديدة، للوقوف على مواقف رائعة فى حياة هذا السياسى العبقرى، لم تأخذ حقها فى كتابات المؤرخين.

ويقول: إن وينستون تشرشل كان على مدى تاريخه السياسى كله أكبر المدافعين عن اليهود والصهيونية سراً وعلانية، فى نفس الوقت الذى كان فيه من أشد المعارضين لمعاداة السامية، وصاحب مواقف معلنة فى هذا الصدد.

ويضيف مؤلف الكتاب: كان وينستون تشرشل بعده شاباً فى عام ١٨٩٤ عندما تم توجيه تهمة الخيانة لضابط يهودى بالجيش الفرنسى هو الكابتن الفريد دريفوس، وتم إرساله إلى جزيرة الشيطان ديفلز أيلاند. ورغم أن معاداة السامية كانت تسود إنجلترا فى تلك الفترة، كما فى سائر أنحاء القارة الأوروبية، إلا أن موقف تشرشل كان

واضحاً، حيث أعلن مساندته للضابط اليهودي، وإدانته للإجراءات القضائية التي انتهت بإدانته في فرنسا.

ويعيد جلبرت في كتابه رسم شخصية عميد الجيش البريطاني توماس إدوارد لورانس، الذي عرف في العشرينيات من القرن الماضي باسم لورانس العرب ولطالما أحبه العرب كصديق يدافع عن قضاياهم، والذي تظهر صوره دوماً، وهو يرتدي الزي العربي، فيقول: إنه لم يكن أبداً كذلك، وليس كما يتصور العرب، لأنه كان في حقيقته صهيونياً خطيراً، يؤمن بشدة بالمشروع الصهيوني ومن كل قلبه!.

ويضيف: إن بحثه في الأرشيف الوطني البريطاني قاده إلى العديد من الوثائق، التي تؤكد تعاطفه مع ما سماه القضية الصهيونية، والتي كانت الهم الأكبر لونستون تشرشل رئيس الحكومة البريطانية في ذلك الوقت، ومن بين الأدلة على ذلك وصف لورانس لمنطقة فلسطين الممتدة من البحر المتوسط إلى الأردن في إحدى الوثائق، التي اطلع عليها جلبرت بأنها بيت اليهود القومي!.

أما المقال الذي صدرنا به لهذا الفصل فيمكن اعتباره مقالا كتبه رئيس الوزراء البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية ونستون تشرشل عام ١٩٣٧ يؤكد فيه مسؤولية اليهود جزئيا عن العدائية التي يعانون منها. وعزا تشرشل هذه العدائية الى كون اليهودي «مختلف». وعنوان المقال هو كيف يمكن ان يتصدى اليهود للاضطهاد لكنه لم ينشر وقتذاك. وقد عثر عليه احد المؤرخين البريطانيين في ارشيف تشرشل ونشر للمرة الاولى الاحد. وتطرق تشرشل في مقاله الى معاداة السامية التي كانت سائدة في اوروبا والولايات المتحدة وما تلاها من اضطهاد النظام النازي الحاكم في المانيا لليهود منذ العام ١٩٣٣ والذي بلغ ذروته ابان الحرب مع المحرقة ومقتل ستة ملايين يهودي اوروبي. وقال تشرشل قبل ثلاث سنوات من تسلمه رئاسة الحكومة من السهل ان ننسب (العداء لليهود) الى نزعة الشر لدى الذين اضطهدوهم لكن ذلك لا يتطابق مع جميع الوقائع. واوضح ان العداء للسامية موجود في دول يتساوي فيها اليهود مع الاغيار امام القانون وحيث وجد الكثير منهم ليس فقط الملجا انما الفرص

ايضا. واضاف يجب ان تؤخذ هذه الوقائع بالاعتبار فى اى تحليل لمعاداة السامـ ية مشيرا الى ضرورة اخذها بالاعتبار من قبل اليهود انفسهم خصوصا. وقال قد يكونوا تسببوا بالاضطهاد عن غير قصد وبالتالى مسؤولين جزئيا عن العدائية التى يعانون منها. واكد ان الواقع الاساسى الذى يحكم العلاقات بين اليهودى وغير اليهودى هو ان اليهودى «مختلف» (.. .) فمظهره مختلف كما انه يفكر بشكل مغا ير فى حين ان تقاليده وإرثه الثقافى غـ ير مشابهة للاخرين فهو يرفض ان يتم استيـعابه من قبل الغـ ير. واشاد تشرشل باليهود قائلا انهم يعملون بحرفـ ية ويحترمون القانون. ودعا البر يطانيين الى التصدى لعمليات الاضطهاد التى يتعرض لها اليهود. وتابع انه ليست هناك فضيلة فى السكوت عن الشر فقـ يمة الانسان تكمن فى الاعتراض على الوحشية والخطا والكفاح من اجل القضاء عليهما. واكتشف المؤرخ ريتشارد توى المقال ضمن ارشيف تشرشل الذى تحتفظ به جامعة كمبردج. وفى تلك الفترة قال له مساعده ان نشره امر لا ينصح به. وهناك بعد آخر أكثر عـمقا لعلاقة تشرشل بالـ يهود فقد أظهرت وثائق سياسية بريطانية بشأن فلسطين كُشف عنها مؤخرا - تعود إلى زمن الحرب العالمية الثانية - عن مناقشات بين رئيس الوزراء البريطانى وقتها ونستون تشرشل والرئيس الإسرائيلى المستقبلى حاييم وايزمان أدت إلى خلاف وتبادل جاف للرسائل مع وزير الخارجية البريطانى أنتونى إيدن.

وأظهر الملف السرى للغاية الذى يعود إلى عام ١٩٤٣ أن تشرشل كان ميالا إلى خطة ترمى إلى تقد يم رشوة للملك عبد العزيز بن سعود تتمثل فى مبلغ ٢٠ ملـ يون جنيه إسترلينى وأن يتولى رئاسة كونفيدرالية عربية، وذلك فى مقابل أن تقدم العائلة المالكة السعودية المساعدة فى إعطاء فلسطين لليهود.

لكن إيدن أوضح لرئيـ سه فى الرسالة أن الإقدام على خطوة كتلك سيكون مخالفا للسياسة البريطانية.

وقد قدم الفكرة إلى تشرشل رئيس الوكالة اليهودية فى وقتها، حاييم وايزمان - وهى الوكالة التى كانت مسؤولة عن شؤون المجتمع اليهودى فى فلسطين تحت انتداب عصبة الأمم.

وكان تشرشل متعاطفا مع القضية اليهودية كما كان مؤيدا لوعد بلفور لعام ١٩١٧، الذى تعهد بإقامة وطن قومى لليهود.

لكن إيدن، المعروف بهدوئه ودبلوماسيته، غضب حين علم من واشنطن بأن وايزمان أشار إلى الخطة فى حديث مع سومنر ويليس، أحد مساعدى الرئيس تيودور روزفلت، بقوله خطة رئيس الوزراء.

وكتب إيدن رسالة إلى تشرشل يقول فيها: لا أعلم إلى أى مدى يملك وايزمان صلاحية التحدث باسمك، لكتنى قلق بعض الشىء بسبب خطر الالتباس الحادث فى واشنطن.

سياستنا الحالية فى فلسطين تمت الموافقة عليها فى البرلمان.

أعرف تماما مشاعرك الشخصية بهذا الخصوص، لكن لم تكن هناك مناقشة توحى بإمكانية مخاطبة الحكومة الأمريكية بخصوص احتمال تعديلها (السياسة البريطانية).

غضب إيدن

وأضاف: يجب أن أسجل أيضا وجهة نظرى بأن ابن سعود لن يقبل استقبال وايزمان لمناقشة مستقبل فلسطين، ولن يوافق على أن يزكى للعالم العربى أى صيغة تشابه ولو من بعيد الطموحات الصهيونية.

وأشار إيدن إلى أن الكتاب الأبيض الصادر عن الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩ بشأن فلسطين كان واضحا فى معارضته لأن تصبح دولة يهودية.

وفى رده على الرسالة كتب تشرشل: ليس لدى وايزمان سلطة التحدث باسمى. فى نفس الوقت، لقد ذكرت وجهات النظر تلك له حين التقينا فى وقت ما فى السابق، وقد استمعت منى أنت شخصيا إليها مرارا.

وأقر تشرشل بأنه حتى لو تم إقناع الملك، الذى كان عمره وقتها ٦٧ سنة، فربما لن يطول به العمر لكى ينفذ الوعد.

وقال فى الخطاب إن الصعوبة الكبرى هى عمر ابن سعود.

وربما سعـ يا إلى تهدئة غضب وزير خارجـ يتـه، أضاف تشرشل: أعتبـر أن كل الحوارات التى تناولت هذه النقاط لا تزال غـ ير ناضجة فى الوقت الحاضر، وليس من شأنها إلا التسبب فى الخلاف.

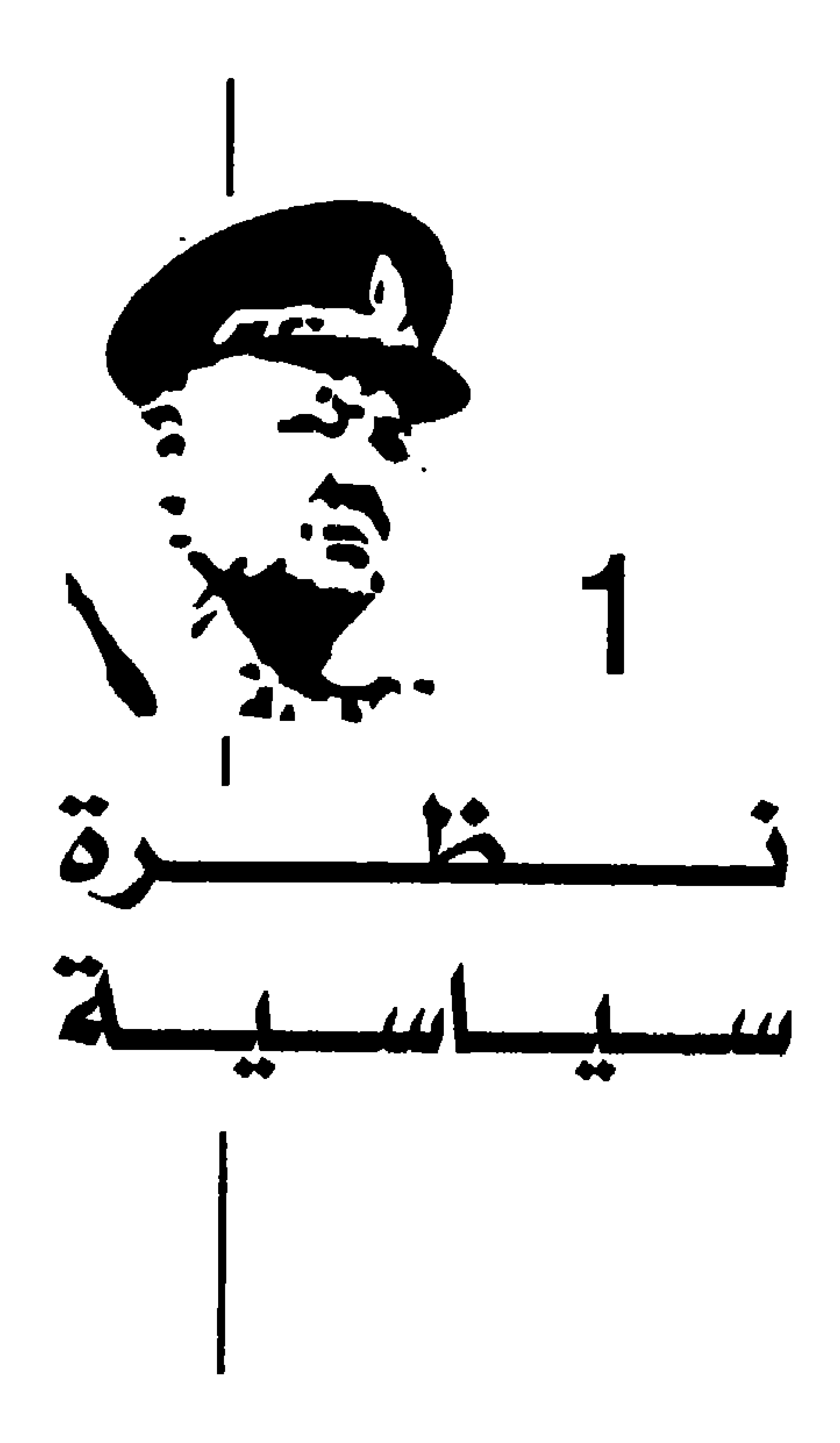
الكتاب الأبيض

كان اللورد باسفيلد وزير المستعمرات البريطانى فى حكومة رمزى ماكدونالد العمالية التى تشكلت بعد فوز حزب العمال البريطانى فى انتخابات ١٩٢٩ وفى الوقت الذى لم يكن فيه الحزب قد وقع بعد فى اسر أجنحة الحركة الصهيونية قد اصدر الكتاب الأبيض فى ٢٠ أكتوبر ١٩٣٠، وكان اللورد باسفيلد يشتهر باهتماماته الإنسانية وميوله الاشتراكية بصيغتها الأولى المتفتحة على الأممية وحقوق الشعوب المستعمرة إلى درجة تأييد الشعوب الأفريقـ ية ضد المستوطنين الأوربيين البيض، واعتبار المصالح الصهيونية اعتداءا صريحا على حقوق الشعب الفلسطينى مما جعل الحركة الصهـ يونية تنظر إليه كأخطر عدو فى الحكومة البر يطانية، وقد استند اللورد باسفيلد فى كتابه الأبيض على تقرير لجنة والتر شو كبير القضاة البريطانيين فى ٣١ مارس ١٩٣٠ وهى لجنة برلمانية شكلها وزير المستعمرات باسفيلد من الأحزاب البريطانية، وكانت صلاحيتها مقـ يدة ومحصورة فى التحقـ يق فى الأسباب المباشرة لانتفاضة البراق فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٩ والتوصيـة بما يتخذ من تدابير لتجنب تكرارها، وقد أشارت اللجنة إلى أن العلاقات بين الفلسطينيين واليهود قبل الحرب العالمية الأولى كانت جيدة، فقد عاشوا جنبا إلى جنب بألفة ومحبة وتسامح وتساهل، وهذا لم يعد متوفرا وموجودا فى عام ١٩٢٩، وترى اللجنة أن هذا التغير فى العلاقات بين الشعبين جاء نتـ يجة للسـ ياسة المتناقضة للحكومة البريطانية فـ يما يتعلق بتصريح بلفور والوعود التى اعطتها بريطانيا للشريف حسين فى مباحثات الحسين - مكماهون خلال الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٦ وبيان الجنرال أللنبى فى عام

١٩١٧ الذى قال فيه أن هدف دول الوفاق هو تحرير الشعوب التى كانت تخضع للحكم التركى وتأسيس حكومات وطنية تستمد سلطتها من رغبة السكان الوطنيين، وانه ليس لبريطانيا ولا لفرنسا أطماع فى هذه البلاد، وحق تقرير المصير الصادر عن مؤتمر الصلح فى فرساى فى عام ١٩١٩ طبقا لمبادئ ولسون الأربعة عشر، وتقرير لجنة كنج كراين التى أوصت فى عام ١٩١٩ على ضرورة أن تكون فلسطين جزء من سورية، وتقرير الفاتيكان فى عام ١٩٢٢ الذى رفض الوصاية البريطانية على فلسطين لأن ذلك يهدد المساواة بين الأديان، واقتراح اللورد اسلنجتون فى مجلس العموم البريطانى فى عام ١٩٢٢ الذى يرفض الانتداب على فلسطين لأنه يتنكر للوعود التى قطعتها بريطانيا للشعب الفلسطينى فى الاستقلال فى بياناتها فى عام ١٩١٥ وعام ١٩١٨، ولذلك يكون إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين حسب المعنى الواسع الذى فهم به يخالف مطالب العرب القومية، بينما لو سلم بالمطالب القومية العربية لأصبح من المستحيل تحقيق تصريح بلفور، ولذلك ناشدت اللجنة فى تقريرها الحكومة البريطانية وضع سياسة واضحة تجاه حقوق الشعب الفلسطينى ومشاكل تدفق المهاجرين اليهود وتسرب الأراضى، كما استند اللورد باسفيلد فى كتابه إلى تقرير لجنة جون هوب سمبسون خبير الأراضى الذى صدر فى ٢٠ أكتوبر١٩٣٠ والذى دعا إلى تقييد الهجرة اليهودية بحيث لا يؤثر على حياة الفلسطينيين واقتصادهم خاصة وانه لا يوجد فى فلسطين أراضٍ زائدة عن اللزوم لاستقرار المهاجرين اليهود، وذلك بالإضافة إلى أجزاء هامة من صك الانتداب وكتاب تشرشل الأبيض الصادر فى ١٩٢٢، وقد تضمن الكتاب إعطاء قسم من الحكم الذاتى للفلسطينيين على غرار ما اقترحه ونستون تشرشل فى كتابه الأبيض فى عام ١٩٢٢، وإقامة مجلس تشريعى فلسطينى يتكون من ٢٢ عضو يتم انتخاب ١٢ عضو منهم ويعين الباقى من طرف المندوب السامى، وإتباع تنمية زراعية منظمة، ولهذا دعا الكتاب إلى تسجيل ملكية الأراضى واعتبار النظام المشاع عقبة فى وجه التنمية، وتقييد نقل ملكية الأراضى بمخططات الإدارة وموافقتها، وربط الهجرة بأحوال العمل والقدرة الاستيعابية للبلاد، وانتقاد

الأساليب السياسية التى اتبعتها الوكالة اليهودية واتحاد النقابات الصهيونية (الهستدروت) فى تعاملهما ومواقفهما ومقاطعتهما للعمال العرب، وضرورة لفت النظر إلى أن الوكالة اليهودية ليست جزء من السلطة وان كان من الضرورى التعامل معها، لكن اليهود ثاروا على هذا الكتاب وتظاهروا ضده فى لندن والعواصم الغربية ونددوا بسياسة بريطانيا وسياسة حزب العمال البريطانى وسياسة رئيس الوزراء العمالى ماكدونالد وسياسة وزير المستعمرات باسفيلد وطلبوا من الولايات المتحدة مقاطعة بريطانيا اقتصاديا، وذلك بالإضافة إلى المعارضة البريطانية التى اتهمت رئيس الوزراء العمالى رمزى ماكدونالد بالحنث بوعود بريطانيا لليهود، استقالة حاييم وايزمن من رئاسة المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية، ولكنه ورغم استقالته استغل صداقته مع مالكولم ابن رئيس الوزراء البريطانى فى ترتيب لقاء له مع والده، ولم تهدأ ثورة اليهود إلا بعد أن اضطر رئيس الوزراء رمزى ماكدونالد إلى التراجع عن كتاب باسفيلد الأبيض وإصدار كتاب ماكدونالد الأسود الذى يخفف كثيرا من كتاب باسفيلد الأبيض، وهو عبارة عن رسالة بعث بها رئيس وزراء بريطانيا رمزى ماكدونالد فى ١٤/٢/١٩٣١ إلى حاييم وايزمان نشرتها جريدة (التايمز)، يقدم فيها توضيحاً وتفسيراً للكتاب الأبيض الذى أصدره اللورد باسفيلد بناء على توصيات لجنة شو وتقرير لجنة سمبسون اللتين قدمتا إلى فلسطين فى أعقاب انتفاضة ١٩٢٩، وكانت التوصيات الصادرة عن اللجنتين المذكورتين أثارت حفيظة اليهود الذين رأوا فيها تراجعا عن الوعود البريطانية للمنظمة الصهيونية، وبالفعل نجحت الصهيونية فى إزالة بعض التصورات والمفاهيم التى نشأت حول سياسة الحكومة بشأن فلسطين وإعادة العلاقات بين الصهيونية والحكومة البريطانية إلى ما كانت عليه، أما العرب الفلسطينيون فأطلقوا عليه الكتاب الأسود لكونه تجاهل ما ورد فى توصيات الكتاب الأبيض ولجنة شو ولجنة سمبسون، ولم يتجاوز دورهم رد الفعل اللفظى كما هى العادة.

■■■



1 ١

نظرة سياسية



□□

إن أى دراسة صحيحة وشاملة للصهيونية ينبغى ألا تقتصر على تتبع ظهور الفكرة الصهيونية بين اليهود فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فقد يكون هرتزل هو مؤسس الصهيونية اليهودية السياسية فعلاً، ولكم هذا لا يعنى أن أفكاره كانت جديدة فقد سبقه إليها أفراد كثيرون منهم اليهود ومنهم غير اليهود، ولئن كانت معظم الكتابات الصهيونية قد ظهرت فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر، فإن غير اليهود كانوا قد وضعوا تلك الأفكار وطوروها قبل ذلك بثلاثة قرون، وهذا ما بات يعرف باسم الصهيونية غير اليهودية، وهى التى شكلب المقدمات الحقيقية لظهور الصهيونية بأنها مجموعة من المعتقدات المنتشرة بين غير اليهود والتى تؤيد قيام دولة قومية يهودية فى فلسطين بوصفها حقا لليهود.

نشأة الصهيونية غير اليهودية:

تعود مشأة الفكرة الصهيونية إلى ماقبل المؤتمر الصهيونى الأول بثلاثة قرون، وقد أسس لذلك بأشد ما يكون من الوضوح الفكر الدينى فى أوروبا الغربية فى عهد الإصلاح الدينى البروتستانتى فى القرن السادس عشر فالأساطير التى تم غرسها فى الوعى الشعبى فى هذه المرحلة المبكرة فى أوروبا المسيحية كانت متوافقة تماما مع تلك الأساطير التى أصبحت تشكل المنطق الروحى للصهيونية اليهودية السياسية، وهى أساطير الشعب المختار، والميثاق، والعصر الألفى السعيد وعودة المسيح المنتظر الخ...

الأساطير تعريفا: هى حسب تالكوت بارسونز: هى مجموعة المعتقدات المقدسة التى

يقبلها المجتمع بشكل عام، لأن فيها عناصر محسوسة وذات ارتباط بالدين والتاريخ والسياسة.

المسيحية الكاثوليكية قبل عهد الإصلاح:

لم يكن الفكر الدينى الكاثوليكى يعتبر أن هناك أدنى احتمال لعودة يهودية إلى فلسطين أو لأية فككرة عن وجود أمة يهودية، أما بخصوص الفقرات الواردة فى التوراة والتى تشير إلى عودة اليهود إلى وطنهم لا تنطبق على اليهود بل على الكنيسة المسيحية مجازا، أما اليهود فطبقا لتلك العقيدة فقد ارتكبوا إثما فطردهم الله إلى منفاهم فى بابل وعندما أنكروا أن عيسى هو المسيح المنتظر نفاهم الله ثانية وبذلك انتهى وجود ما يسمى بالأمة اليهودية إلى الأبد، ولذلك وطبقا للعقيدة الكاثوليكية فليس لليهود مستقبل قومى جماعى ولكنهم كأفراد يمكن أن يجدوا الخلاص الروحى باعتناقهم المسيحية، وبصورة عامة كانت الكنيسة الكاثوليكية فى القرون الوسطى تفصل بين العبرانيين القدامى وبين اليهود المعاصرين، وكانت فلسطين بنظر الكنيسة تعتبر أساس الوطن المقدس الذى أورثه المسيح لأتباعه المسيحيين، فكانت فلسطين الأرض المقدسة التى تتغلغل فى حياة وخيال كل مسيحى مؤمن وكانت الرحلة إليها مطمع كل مسيحى أوروبا، ولم يكن اليهود يعتبرون الشعب المختار الذى قدر له أن يعود إلى الأرض المقدسة، وإذا كان اليهودى مختارا لأمر ما فإنه اللعنة، وكان اليهود يعتبرون مارقين،ويوصفون بأنهم قتلة المسيح، وكانت النظرة الصهيونية غير اليهودية غائبة تماما عن أوروبا العصور الوسطى، وكانت كلمة إسرائيل تعنى إيم لديانة بل لديانة دنيا، و لم يكن هناك أية فكرة من الممكن أن تكون لإسرائيل صفات قومية.

الفكر الاسترجاعى الإصلاح الدينى البروتستانتى:

إذا كانت إسرائيل والحركة الصهيونية مدينة بوجودها وبتحولها من مجرد فكرة إلى منظمة مهيمنة على يهود العالم ومن ثم إلى دولة فإنها بلا أدنى شك حتى بوصفها

فكرة مدينة للمناخ الحضارى وللأفكار الاسترجاعية التى سادت أوروبا منذ القرن السادس عشر، فقبل ظهور فكرة الشعب اليهودى بالمعنى السياسى وفكرة الدولة اليهودية ككيان سياسى بثلاثة قرون ظهرت الصهيونية غير اليهودية صهيونية الأغيار أو الصهيونية المسيحية وهى حركة الاسترجاع المسيحية التى كانت تطالب بإعادة اليهود إلى أرضهم حتى يتسنى الإسراع فى هدايتهم وتحويلهم إلى المسيحية، فعودة اليهود وهدايتهم وتنصيرهم كانت شرطا أساسيا لحلول العصر الألفى، السعيد التى سيحكم فيها المسيح المخلص العالم مدة ألف عام ويسود الطمأنينة والسلام.

هذه الافكار الدينية لم يكن ممكنا أن توجد بعزل عن التحولات الاجتماعية التى حصلت فى أوروبا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، عصر التجارة والاكتشافات الجغرافية وعصر الاستعمار التجارى المركنتلى هذه التحولات التى وصلت إلى ذروتها فى نهاية القرن التاسع عشر، عصر الإمبريالية. كانت المبادئ البروتستانتينية التى وصفتها حركة الإصلاح الدينى فى القرن السادس عشر مغايرة تماما للمبادئ الكاثوليكية السابقة، وتوصف هذه الحركة بأنها بعث عبرى أو يهودى تولدت عنه وجهات نظر جديدة عن الماضى والحاضر والمستقبل وكان اهتمام حركة الإصلاح الدينى منصباً على العالم القادم فساد الاعتقاد بالمسيح المنتظر والعهد الألفى السعيد اللذين هما من مقومات المبادئ اليهودية، وهذه التغيرات اللاهوتية هى التى روّجت لفكرة أن اليهود أمة منفصلة، وأكدت على عودتهم إلى فلسطين، وساد الاعتقاد بين البروتستانت أن اليهود سيجتمعون فى فلسطين تمهيداً لعودة المسيح المنتظر. لقد أصبح العهد القديم هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد، ودعى المسيحيون للعودة إلى الكتاب المقدس باعتباره مصدر المسيحية النقية الثابتة وإلى فهم النصوص بمعناها الواضح البسيط، وجاءت البروتستانتينية بفكرة إقامة الحقيقة الدينية على أساس الفهم الشخصى دون فرض قيود على التفسيرات التوراتية، والتخلص من الفهم المجازى للكنيسة والتخلص من سلطتها الفكرية. وهذا ما فتح الباب أمام البدع فى اللاهوت المسيحى وأصبح التأويل الحرفى لا المجازى لنصوص التوراة هو الأسلوب الجديد فى

التفسير مما قوّى النزعة اليهودية لحركة النهضة البروتستانتينية. وجعل من التوراة العبرية المرجع الوحيد لتاريخ الدولة اليهودية القديمة، وهو الملىء بالأساطير والخرافات والقصص التاريخية والأشعار والعبارات النبوية وتلك الخاصة بسفر الرؤيا ونبوءاته عن نهاية الزمان والعصر الألفى السعيد. لقد أصبح العهد القديم أكثر الآثار الأدبية شيوعاً بين عامة البروتستانت، بل أصبح أيضاً مصدر المعلومات التاريخية العامة، فبدأت عملية التزوير التاريخى حيث وجدت مقولة الحق التاريخى الصهيونى مادتها فى التفسير الحرفى للتوراة، وأخذ التاريخ الشامل لفلسطين يتقلص بشكل تدريجى حتى أصبح الأوروبيون يعتقدون أنه لم يكن هناك فى تاريخ فلسطين إلا الخرافات والأساطير والقصص الواردة فى العهد القديم والتى اعتبروها تاريخاً صحيحاً، ولم تأخذ على حقيقتها. لقد حظيت فلسطين الأرض المقدسة باهتمام خاص حيث ارتبطت بدلالات صهيونية وأصبحت تعتبر أرض ما يسمى بالشعب المختار وأصبح هذا الربط يرد فى الطقوس والشعائر الدينية البروتستانتية التى كان ينشد بعضها بالعبرية التى شاع تعلمها باعتبارها لغة التوراة العبرية، وهكذا أصبحت فلسطين أرضاً يهودية فى الفكر الاسترجاعى البروتستانتى. لقد تسربت ما يمكن تسميته بالروح العبرية التجارية إلى الفنون والآداب الأوروبية وكانت تعبير عن الإعجاب بالمبادئ والقيم اليهودية. وكانت بذلك حركة لإصلاح البروتستانتى بعث يهودى شامل طاول مختلف أوجه التفكير والثقافة فى أوروبا البروتستانية. ومع نهاية القرن السادس عشر، ظهر أول أثر أدبى مطبوع عن التفكير فى العصر الألفى وبعث اليهود وانتشر فى الجزر البريطانية حيث وطدت البروتستانية أقدامها، فقد كتب توماس كتابه حول بعث اليهود، وقال إنهم سيعودون ثانية إلى فلسطين وطن آبائهم الأوائل، وكان برايتمان يعتبر الأب الروحى لعقيدة بعث اليهود فى بريطانيا وكان من أتباعه هنرى فنش الذى نشر كتابه حول نفس الموضوع عام ١٦٢١ البعث العالمى الكبير - أوعودة اليهود ومعهم كل ممالك الأرض إلى دين المسيح لقد اقترنت عقيدة العصر الألفى السعيد بعناصر أساسية متناقضة، موالاة السامية ومعاداتها وبشكل عام كانت

الصهيونية غير اليهودية مفعمة بنفحات معادية للاسامية التى بقيت عنصرا مميزاً فى الصهيونية غير اليهودية، وهذا ما يظهر فى مواقف مارتن لوثر المؤسس، وزعيم الحركة الإصلاحية التى يبدو فيها ممثلاً حقيقياً لما يمكن أن يطلق عليه اللاسامية فى العصور الوسطى. لقد وصل تطور البروتستانتية إلى درجته العليا فى البيروتانية حركة الإصلاح البروتستانتى فى بريطانيا إلى درجة مطالبة الحكومة بأن يكون التوراة دستورا للقانون الإنجليزى، وقد جددت هذه المطالبة تعبيرها عندما حل كرومويل البرلمان الطويل واستبدله بالبرلمان القصير المكون من القديسين البيورتانيين وكان مجلس الدولة يتكون من سبعين عضو أسوة بعدد أعضاء المجلس اليهودى القديم السنهدريم وكانت البيورتانية كمثيلاتها الكالفينية واللوثرية تحمل ذات المفاهيم الدينية والثقافية، لقد جلبت البيورتانية الغزو العبرى إلى بريطانيا وأصبحت العبرية أمرا محسوسا على المستوى الشعبى. لقد وجد البيورتانيون فى العهد القديم مثالا سماويا للحكومة الوطنية ودلالة واضحة للقوانين التى على البشر اتباعها، فأصبح العهد القديم كتابهم الوحيد وغذائهم الفكرى والروحى ومرشدهم وفيلسوفهم وحجتهم القانونية، لقد تشكل فكرهم تبعا له، وهكذا أخذت فكرة الشعب اليهودى المختار تلعب دورا متميزًا فى الفكر البيورتانى والنظام القائم ولم يمض وقت طويل حتى شهدت بريطانيا حركة منظمة تطالب بعودة اليهود إلى فلسطين. وعندما كتب برايتمان وفنش عن البعث اليهودى كان اليهود قلة فى بريطانيا ينظر إليهم بازدراء أما فى عهد البيورتانية فقد لقيت فكرة البعث اليهودى قبولاً واسع النطاق.

بداية تزاوج الفكر الدينى والمصلحة السياسية:قد كانت فكرة عودة اليهود إلى فلسطين من وجهة نظر دينية لا تطالب أن يقوم البشر بعمل ما من أجل ذلك بل كانت حسب تلك العقيدة ستتم بتدخل قوة إلهية، وفى عام ١٦٤٩ ظهرت أول مطالبة بتدخل البشر لإعادة اليهود إلى فلسطين عندما أرسل (جوانا داينز- وكارترايت) استرحامًا إلى الحكومة البريطانية يطلبون منها أن يحمل شعب إنجلترا بنات وأبناء إسرائيل على سفنهم إلى الأرض التى وعد الله بها أجدادهم ...... لتكون إرثهم الأبدى. كما تضمن

هذا الاسترحام طلباً بالغاء قانون النفى الذى وضعه الملك إدوارد عام ١٢٩٠ والذى طرد يهود بريطانيا بموجبه، وبصورة عامة لم يكن ينظر إلى كلا المسألتين من زاوية مصلحة اليهود بقدر ما كانت من أجل الوعد المعطى لهم لأنه كان ينظر إلى عودة اليهود على أنها اعتناق اليهود للمسيحية لأن هذه العلاقة تحقق الوعد وعودة المسيح المخلص وحلول العصر الألفى السعيد. وبعد ذلك: إستجاب كرومويل للاسترحام وتدخل شخصياً فى مقررات مؤتمر وايت هول الذى دعا إليه عام ١٦٥٥ لبحث شرعية عودة اليهود، وصدر نص القرار عن المؤتمر بالسماح لليهود بدخول دولة بروتستانتية ينبغى ألا يكون قانونياً فحسب بل وأمراً نفعياً، وكرومويل هو أول سياسى بدأ يفكر بالاستفادة من اليهود وتوظيفهم فى خدمة المصالح البريطانية، وهو الذى كان منشغلاً بالتنافس مع اسبانيا والبرتغال ويخوض حروباً تجارية ضارية، ففكر بما يمكن أن يجنيه بالسماح لليهود بالعودة إلى بريطانيا، ومن هنا بدأت المصلحة السياسية تلقى بثقلها إلى جانب الدين والقانون وأصبحت الأفكار الاسترجاعية تستغل فيما بعد كستار للمصالح الاستعمارية البريطانية فى فلسطين التى ارتبط موقعها بالمتطلبات الأساسية للإمبراطورية. تلا تلك المطالبة ما قام به الدانماركى هولجريولى من مطالبة ملوك أوروبا بالقيام بحملة صليبية جديدة لتحرير فلسطين والقدس مما أسماه الكفار وتوطين اليهود وارثيها الأصليين والشرعيين وفى عام ١٦٩٦ قدم خطة مفصلة إلى ملك إنجلترا وليم الثالث طالباً منه أن يعيد احتلال فلسطين ويسلمها لليهود.، فكانت خطته محاولة جريئة للربط بين الأفكار الدينية والأحداث السياسية. وتلخص بربارة تخمان المؤرخة الصهيونية دراستها عن الارتباط الإنجليزى المبكر بالصهيونية فتقول الدين وحده لم يكن كافيا، إذ أن شعور البيورتانيين الغامض والتآخى الروحى مع أبناء إسرائيل وآرائهم المثالية فى التسامح وأمالهم الصوفية بالتعجيل بالعصر الألفى السعيد ما كانت لتؤدى إلى نتائج عملية لو لم تتدخل المنفعة السياسية. فقد كان الحافز لاهتمام كرومويل باقتراح مناسب هو نفسه الذى جعل لويد جورج يهتم باقتراح حاييم وايزمن بعد عشرة أجيال، وهو اعتقاد كلا الرجليين بأن اليهود قادرون على

تقديم العون لبريطانيا وقت الحرب ومنذ عهد كرومويل أصبح أى اهتمام بريطانى بفلسطين يعتمد على دافعين متلازمين : دافع الربح تجارياً أو استعمارياً وعسكريًا والدافع الدينى. دور الأدب والفلسفة فى التعريف بالثقافة اليهودية:لقد بدت سيطرة العنصر الدينى واضحة فى المسرح والشعر والفن وظهرت معادلة فلسطين اليهودية بكل مضامينها الصهيونية فى تلك الآثار. فكتب ملتون قصيدته الشهيرة الفردوس السعيدة وهى تظهر إيمانه بالعصر الألفى السعيد عن طريق اعادة اليهود،إلى فلسطين بتدخل قوة خارقة إلهية. وجدد الكسندر بوب الفكرة عن المملكة اليهودية فى قصيدته المسيح كما كتب الفرنسى جين باتيست راسين عام ١٦٨٩ روايته استر وصور جاك بوسيه عام١٦٨١ فى كتابه دراسة التاريخ العالمى إسرائيل على إنها الأمة التى تعلو كل الأمم. وأنها حجر الأساس فى تاريخ العالم. وفى ألمانيا تناول هانس ساش فى كتابيه عام ١٥٥٢ موضوعات عن التاريخ اليهودى وأكدت كريستان وايز نفس الأفكار فى كتابها عام ١٦٨٣ واختار يوحنا جاكوب من سويسرا لشعره شخصيات إبراهيم ونوح ويوسف وسليمان. وكتب الشاعر جوتهلد ابهريم لستنج روايته ناتان الحكيم عام ١٧٧٩ التى تنتقل إلى موطن البطل اليهودى ناتان وتصور الرواية الحملة الصليبية الثالثة وتصور صلاح الدين الأيوبى كمحتل للقدس. ويلمس المرء فى كتابات الفلاسفة جون لوك، إسحق نيوتن، جوهان جوتجريد وهودر- مناصرة أوروبية لقضية عودة اليهود إلى فلسطين على أسس دينية. وكان جوزيف بريستلى هو أول من تصور بأن فلسطين أرضًا غير مأهولة بالسكان وتمنى لليهود أن يجمعهم ويعيد توظيفهم فى وطنهم أرض كنعان ويجعلهم أكثر الأمم شهرة. وظهر الحديث عن دولة إسرائيل فى كتابات جان جاك روسو بليز باسكال وكتب باسكال إن بقاء اليهود ٤٠٠٠ سنة سبب كاف للاقتناع بأن الله موجود. مع أن هذا النوع من الأدب قد شهد اضمحلالاً مع بداية القرن الثامن عشر إلا أنه بقى ذا أثر معين ومع نهاية القرن الثامن عشر أى بعد انتصار الثورة الفرنسية عام ١٧٧٩ ظهر سيلاً جديدًا من أدب المجادلة برز فيه دور الثقافة المضادة لبعث اليهود ومثاله الجدل بين جوزيف بريستلى الصهيونى المسيحى وخصمه

اليهودى دافيد ليفى الذى كان يرفض المبادئ المسيحية المتعلقة بالعصر الألفى السعيد وبصورة عامة لم تكن أفكار العصر الألفى السعيد مألوفة لدى اليهود بعامة، ولكن غزوة نابليون لفلسطين فى نيسان عام ١٧٧٩ أوجدت ظروفًا أخرى، فلم تعد العودة اليهودية موضوعاً للبحث الأكاديمى، بل أصبحت صيغة واقعة مرتبطة بالأزمة السياسية السائدة فى أوروبا والتنافس الاستعمارى على المستعمرات. وبدأت تتصاعد الدعوات لإعادة اليهود إلى فلسطين، ففى عام ١٧٩٠ كرر ريتشارد بيير أسقف ساند بروك الاسترحام الذى قدمه كارترايت عام ١٦٤٩. فطلب من رئيس وزراء بريطانيا وليم بت أن يساعد على تحقيق عودة اليهود نهائيًا إلى الأرض المقدسة، وفى عام ١٨٠٠ نشر جيمس بشينو كتابه عودة اليهود أزمة جميع الأمم وكانت نظرته مرتبطة كليًا بالمصالح السياسية. وليس بالأبعاد الدينية وتحول اليهود إلى المسيحية، وقد أزعجته محاولات فرنسا الملحدة لإيجاد موطئ قدم لها فى فلسطين، وفيما بعد عندما انتشرت شائعات عن رغبة نابليون فى إقامة دولة لليهود فى فلسطين، شن هجوم عنيف على تحالف بريطانيا مع تركيا ضد فرنسا واعتبر حكومة بريطانيا مسؤولة عن عدم تخليص البشرية بوضع يده فى يد الكفار للتخلى عن فلسطين وعن إعادة اليهود إليها، وكان يحذر من خطر سيطرة فرنسا على البحر المتوسط وما يمكن أن يخلقه ذلك من تهديد لمصالح بريطانيا. إنجيلية وصهيونية القرن التاسع عشر:كان شافتسبرى (١٨٠١- ١٨٨٥) أبرز المبشرين المسيحيين بالعصر الألفى السعيد، وهو يعتبر شخصية رئيسية فى الصهيونية غير اليهودية، وكان مهتماً باليهود كشعب وهوك كرومويل فى هذا الجانب ولكنه زاد عليه بأنه يريد اعادته إلى فلسطين، ونشر مقالاً من ثلاثين صفحة عن دولة وآمال اليهود لخص فيه فكرته عن العودة اليهودية وعارض بشدة فكرة الخلاص اليهودى بالإندماج بحجة أن اليهود سوف يبقون غرباء فى كل مكان إلا فلسطين، وكان مقتنعاً أن إعادة اليهود تتم بارادة بشرية وهى تحقيق للأهداف السماوية وهذا المبدأ لم يكن مقبولاً لدى غالبية اليهود فى حينه. وشافتسبرى هو واضع الشعار وطن بلا شعب لشعب بلا وطن الذى حوله الصهيونيون

إلى أرض بلا شعب لشعب بلا أرض. لقد كان انجيلـيو القرن التاسع من الصهاينة الأغيار كلهم من السياسين، ويحتلون مناصب رفيعة أمثال دوق كونت، أيرل كروفر، ولورد جراى، ولورد بكسللى والأسقف مانتج جلادستون. ومنذ أوائل القرن التاسع ظهر نوعاً ظهر نوعاً من الاتحاد وصفه دافـيد فولك بالاتحاد العجيب بين سـياسة الإمبراطورية ونوع من الصهيونية الأبوية التى تتجلى فى السياسة البريطانية. وفى هذا القرن بدأت أوروبا مشوارها نحو القومية وقد بسطت الرومانطيقية نفوذها على كثـير من الإتجاهات الفكرية والسـياسـية وكانت هذه النظرة تتضمن احترام عميق للتقاليد والطبيعة والدين بالإضافة إلى أفكارها عن الشعب والأمة والجنس. هذه الأفكار وغـيرها أثرت بالمد المتصاعد للقومـية وأثرت فى المسألة اليهودية إلى حد بعيد، ونحن فى هذا البحث لم نتعقب جميع الآثار الأدبية أو الفكرية أو الفنية كانت من مكونات الصهيونية غير اليهودية.

المسألة اليهودية تلتقى مع المسألة الشرقية:

لقد اختار نابليون الوقت الذى كان يغزو فيه سواحل سورية ضمن حملته الكبرى على الشرق واعترف بحق اليهود فى العودة إلى فلسطين، ففى ربيع عام ١٧٧٩ اصدر بـياناً طالب فـيه يهود العالم أن يقاتلوا تحت لوائه لإعادة إنشاء ما يسمى مملكة القدس القديمة. لقد سبق وعد نابليون بلفور ب ١١٨ عاماً ووصفه وايزمن بأنه أول الصهيونيين غير اليهود. ولم تكن دعوة نابليون حدثاً منفصلاً عن تاريخ الاستعمار الفرنسى والأبعاد الدينية والثقافـية فى فرنسا مع أن فكرة البعث اليهودى لم تجد رواجاً وتدفقًا لها كما فى بريطانيا ومع ذلك ظهر فـيها نظيراً لكرومويل وهو جيـن باتيست كولبرت كبـير وزراء الملك لويس الرابع عشر وأحد دعاة المركنتيلـية وكان يـتحدث عن الفوائد التى ستجنيها فرنسا من اليهود نتيـجة خبرتهم التجارية، وعلى ذلك كان متعاطفاً مع وجود يهودى فى فرنسا. انتعشت الصهيـونية الفرنسـية أيام امبراطورية نابلـيون الثالث الثانية (١٨٥٢-١٨٧٠) عندما تجددت النشاطات الاستعمارية على نطاق واسع (فى الجزائر، والهند الصينية،وحرب القرم ١٧٤٥) وكان آرنست لاهاران الممثل الرئيسى للصهـيونية غـير اليهودية وهو السكرتير الخاص

لنابليون الثالث، فوضع عام ١٨٦٠ كتابه (المسألة الشرقية- اليهودية، الإمبراطورية المصرية والعربية وإحياء القومية اليهودية) استعرض فيه مناقشات الإنجليز الصهيونيين المؤيدة للاستيطان اليهودى فى الشرق وأكد أن أوروبا كلها يجب أن تساعد على انتزاع فلسطين من الإمبراطورية العثمانية وإعطائها لليهود، ومع أن هذه الدعوات لم تعط نتائج آنية إلا أنها مهدت لظهور جيل من الصهيونيين اليهود أمثال موسى هس أحد الآباء المؤسسين للصهيونية اليهودية والذى اقتبس فى كتابه (روما والقدس) الكثير من كتاب لاهاران وكان واثقاً أن فرنسا ستدعم المساعى الصهيونية فى فلسطين.

التوسع الأوروبى وفلسطين اليهودية:

فى أكثر الأوقات ملائمة من ناحية سياسية، بدأت تبرز من جديد فكرة البعث القومى اليهودى فى الثقافة الأوروبية، ملتقية مع مسألتين : بروز المسألة اليهودية مرة أخرى على أرضية التطورات الحاصلة فى أوروبا، ورغبة الدول الاستعمارية فى وراثة تركة رجل أوروبا المريض الإمبراطورية العثمانية، فتم ربط الأفكار الدينية بذكاء مع السياسة الواقعية القائمة على الحصول على نفوذ فى الشرق الأدنى وتقوية هذا النفوذ تحت شعار المسألة الشرقية حيث كان الأمر الذى يقض مضاجع أوروبا فى القرن التاسع عشر هو رغبة روسيا فى التقدم جنوبا والتى احتلت جزءا من أراضى الدولة العثمانية بعد سلسلة من الحروب الروسية التركية. فضلاً عن الحق الذى كسبته روسيا فى حماية مصالح جميع رعايا السلطان من الأرثوذكس وأثارت حملة نابليون ١٧٩٩ اهتمام بريطانيا ودفعتها إلى التحالف مع تركيا لمنع تقدم روسيا جنوبا ولحماية طرقها إلى الشرق الأقصى من أطماع نابليون. فعندما تولى بالمرستون وزارة الخارجية فى بريطانيا عام ١٨٣٠ كان ضعف الدولة العثمانية المستشرى ظاهرًا للعيان، أظهرت بريطانيا تصميمًا على إحياء سياستها التقليدية وهى تعزيز مركز السلطان من خلال تحديث جهازه العسكرى والإدارى، لقد كان بالمرستون (١٧٨٤- ١٨٦٥) أهم نصير سياسى لمشروع شافتسبرى الخاص بإعادة اليهود إلى فلسطين، كما أنه أول من اكتشف الفكرة السياسية فى صلب الحلم الدينى البروتستانتى. لم يكن بالمرستون

متديناً لكنه سياسياً محنكًا وبعد تحدى محمد على باشا للسلطان العثمانى بمحاولته إقامة دولة كبرى عربية فى الشرق، ذهبت بريطانيا إلى حد مواجهته عسكريًا لإ عادة ولده ابراهيم باشا من حيث أتى، وكان بالمرستون يعتبر أن اليهود يشكلون عنصراً أساسياً لدعم السلطان العثمانى ضد أية خطط شريرة فى المستقبل يفكر بها محمد على أو من شافتسبرى، واختار وليم يانج وهو انجيلى متدين ليكون نائباً للقنصل فى القدس وهذا يدل على علا قة الموضوع بالعامل الهودى، وهو ما أكده يونج بسلوكه فى القدس ومنها حماية اليهود المقيمين فى فلسطين وهذا ماكان من تعليماته له. وفى عام ١٨٣٩ تلقى بالمرستون مذكرة من سكرتير البحرية البريطانية هنرى إنس وكانت موجهة إلى كل دول شمال بالعودة إلى فلسطين، ومع أن المذكرة صيغت بشكل دينى إلا أنها تظهر انتقال الصهيونية غير اليهودية من مرحلة التوقعات الإنجيلية إلى التدخل السياسى النشط، وقد رفعها بالمرستون إلى الملكة فكتوريا.

الصهيونيون الإنجليز قبل هرتزل:

١ ـ ادوارد متفورد : فى عام ١٨٤٥ قدم خطة نيابة عن ما يسمى الأمة اليهودية بخصوص السياسة البريطانية فى الشرق: الخطة التى اقترحها هو إيجاد أمة يهودية فى فلسطين كدولة محمية تحت وصاية بريطانيا العظمى أولاً، ثم توطينهم نهائياً كدولة مستقلة.. .. .. وأكد على المزايا الاقتصادية التى ستكسبها بريطانيا من إقامة الدولة اليهودية وقال:ستضع إدارة مواصلاتنا التجارية فى أيدينا تماما وستجعلنا مسيطرين على الشرق بحيث نستطيع أن نحد من الانتهاكات ونرهب أعداءنا ونحول دون تقدمهم إذا دعت الضرورة.

٢ ـ جورج جولر: وكان حاكم لمستعمرة فى استراليا الجنوبية، لقد كان موقفه بالمرستون أكثر من سلفه وكان يرى أن فلسطين اليهودية هى الضمان الوحيد لاستمرار نفوذ بريطانيا فى الشرق، وكتب عام ١٨٤٧ ليعقوب فرانكلين وهو حاخام يهودى إنجليزى. إذا كان لى أن ألتمس المبررات لمساهمتى فى مستعمرة استراليا الجنوبية، ففى طليعتها احتمال أن يكون ذلك وسيلة للحث على استعمار فلسطين..

.. .. ويضيف : أشعر بالغبطة وأنا أرى تقدم التحرر المدنى لإخوانكم فى إنجلترا وأوروبا لأننى أعتقد أنهم أهل لذلك.. .. . ولإيمانى أن كل خطوة نحو التحرر هو تحرك نحو فلسطين.. .. . إن الامتيازات فى الدولة المسيحية تهدد قوميتكم.. .. .. ففى الوقت الذى كانت حركة التنوير والتحرر اليهودى للانعتاق تجرى على خير مايرام كانت السياسات الإستعمارية تهدف إلى إعاقتها إلى الخلف لتوظيفها فى مشاريعها الإستعمارية.

٣ ـ تشارلز هنرى تشرشل:كان تشرشل واحدا من الرعيل الأول من الصهيونيين السياسيين من غير اليهود، وكان ينتقد سياسة بالمرستون الشرقية التى ترمى إلى الإبقاء على الأمبراطورية العثمانية على قيد الحياة، وكان يدعو بدلا من ذلك إلى تحرير سوريا وفلسطين من الأتراك ووضعها تحت الوصاية البريطانية. أما اليهود فى نظره فهم مستوطنون وحماة للمصالح البريطانية. وكان أكثر تفهمًا من بالمرستون لأوضاع يهود أوروبا وكان يدرك أنه ليست لدى يهود أوروبا نية صادقة للعودة إلى فلسطين. ولذا بدأ يروج لهذه الفكرة بينهم. ففى عام ١٨٤١ كتب لموسى مونتينورى رئيس مجلس الوكلاء اليهودى فى لندن يقول له: لا أخفى عليك رغبتى الجامحة فى أن أرى قومك يحاولون استعادة وجودهم كشعب وأرى أن الموضوع ميسور تماما، لكن هذا له شرطين ضروريين: أولهما أن يتولى اليهود أنفسهم الموضوع عالمياً وبالإجماع وثانيهما أن تساعدهم القوى الأوروبية على تحقيق أهدافهم، وفى عام ١٨٤٢ بعث إلى منتقيورى رسالة يطلب منه فيها أن ينقل رسالته إلى يهود ألمانيا بأن يقوم وأخوتهم يهود بريطانيا وأوروبا يطلبون من وزير خارجية بريطانيا إيفاد شخص كفء للإقامة فى سوريا تكون مهمته الإشراف على مصالح اليهود هناك، لكن هذا الاقتراح قوبل برفض شديد من اليهود، وجاء قرار الوكلاء اليهودى من المستحيل البدء بأية اجراءات لتنفيذ وجهة نظر الكولونيل تشرشل الطيبة اتجاه يهود سوريا.

٤ ـ لورنس أوليفنت/ وزير الخارجية وعضوالبرلمان والصحفى: وضع خطة الإستيطان شرقى النهر، وهو يحظى بأهمية تفوق الآخرين لأنه أول من أقام اتصالات بين الصهيونيين اليهود، وقد أدرك كسلفه تشرشل الذى سبقه بأربعة عقود من

الزمان أهمية إشراك اليهود أنفسهم فى مشاريع الاستيطان فدعاهم إلى التعاون فى مقال له اليهود والمسألة الشرقية عام ١٨٨٣، وقام باتصالات مع حركة (أحباء صهيون) وحضر عدة اجتماعات لها فى رومانيا وروسيا ومنح إذنا من بيكو ووزير خارجيته اللورد سالزيورى للتفاوض مع الحكومة العثمانية حول أرض يمكن لليهود أن يستوطنوها، وحصل على موافقة وزير الخارجية الفرنسى لنفس السبب. إن التحولات الهامة فى السياسة البريطانية جعلت من الصهاينة الأغيار يحتلون مناصب هامة فى الدوائر الحكومية فى إنجلترا، بعد أن كانوا يطرحون سياستهم مداورة، أصبح أسلوبهم مباشرًا وواضحًا حيث حدث التزاوج بين الاستعمار البريطانى والصهيونية عام ١٨٨٥ وعندها وصلت بريطانيا إلى قناعة بأن مراهنتها على تركيا كانت خاسرة وخصوصًا بعد أن احتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ وقبرص فى نفس الفترة وأصبحت أهمية فلسطين قصوى بالنسبة لها وأصبحت الحاجة الملحة للامبراطورية لقيام صهيونية سياسية مع القرن التاسع عشر، ويقول نوردوا فى ظروف تلك الفترة فلم يبق للصهيونية كما يقال سوى أن تظهر وإلا لكانت اضطرت بريطانيا إلى اختلاقها. قويت شوكة الصهيونية غير اليهودية بعد التحولات السياسية الهامة التى حصلت وقويت الصهيونية بين يهود أوروبا وأخيراً ترأس بعض اليهود الدعوة الصهيونية وعبروا عن اهتمامهم بالعمل السياسى من أجل إعادة توطين اليهود فى فلسطين.

وقامت بعض الشخصيات من الصهيونيين الأغيار بمهمة صلة الوصل بين الصهيونية السياسة اليهودية والأخرى غير اليهودية، ممثلة وليم هكسلر، وجوزيف تشامبرلن، ولويد جورج، وبلفور وغيرهم. وفى مقدمة إنجازات الصهيونيين غير اليهود كان وعد بلفور وعد من لا يملك لمن لا يستحق وتبعه صك الانتداب البريطانى على فلسطين وتضمينه وعد بلفور.. .. فى إطار سلسلة مترابطة من الإنجازات والخدمات المتبادلة بين الطرفين، وهكذا بدأت الشراكة بين الطرفين الصهيونيين - بريطانيا - والحركة الصهيونية.

■■■



تشـرشل والسـودان

□□

قليلة تلك الكتب التى تخلب لبك، عندما تكون مفيدة وشيقة، وكأنك تقرأ حكاية مثيرة، غنية بالصور والأفكار.. من هذه الكتب حرب النهر الذى كتبه ونستون تشرشل، عندما كان فى العشرينات من عمره حول اشتراكه كضابط فى حملة السودان تحت قيادة كتشنر، وحصل هذا الكتاب على جائزة نوبل فى الأدب، وتحول الكتاب إلى فيلم سينمائى. ومن هذه الكتب الأجنبية الشيقة، كتاب الشقيقات السبع لكاتبه أنتونى سمسون، حول شركات النفط، وهو موضوع جاف تحول بين يدى كاتبه إلى موضوع حى، ومنها كتاب نابليون فى مصر الذى كتبه كريستوفر هارولد ويروى قصة الحملة الفرنسية على مصر، برؤية ومنهج جديد، وهو ما تجده أيضا فى كتاب النيل الأبيض لآلان مورهيد، الذى لا تتركه إلا مع الصفحة الأخيرة.. أما كتاب حرب النهر فقد صدر مؤخراً فى طبعة جديدة من دار الشروق، ترجمة عز الدين محمود، وسبق ونشرته الهيئة العامة للكتاب بسعر أقل.. ومن خلال عرض الكاتب الكبير مصطفى نبيل للكتاب الذى بين أيدينا فإنه من اللافت للنظر علاوة على الأسلوب الأدبى الراقى، ما يتمتع به الكاتب من الموضوعية والنزاهة، عند تناول جيش المهدى، وربما حتى يظهر حجم الانتصار الذى حققه الجيش الذى اشترك فيه ويقدم صورة عن إحدى الملاحم الكبرى فى تاريخ وادى النيل.. وقاد تشرشل بعد ذلك بريطانيا للانتصار فى الحرب العالمية الثانية، وسبق وكان مراسلاً حربيا فى الهند، وكتب مالاكات حول حرب الحدود الهندية، وكان كثيراً ما يردد خلقت الدنيا للجرىء والمغامر.. وتوسطت له أمه ليشترك فى حملة السودان، ولم تتوسط الأم حتى تعفى ابنها من المخاطر كما هو شائع. ولعل

أهمـ ية الكتاب، ما يجرى من تناسخ وقائع التاريخ.. قد يماً.. سعت الإمبراطورية البريطانية للسيطرة على السودان حتى يكون قاعدة للسيطرة على ما حوله من الدولة الافريقية. واليوم.. تحاول الولايات المتحدة إخضاع السودان لسيطرتها لتحقيق ذات الهدف. ففى ثنايا كتاب حرب النهر قطعة فى تاريخ السودان، ومازالت تعيش بعد آثار هذه الأحداث حتى اليوم. ومازال الصراع فى السودان يقوم على الفجوة الكبيرة بين المدينة والبادية، بين الرعاة والمزارعين، أى تلك الفجوة بين من يعيشون حول النهر والعشائر فى الصحارى الواسعة.

صدام الأقدار

وكانت ذروة الصراع فى ملحمة صدام الأقدار عندما تكسرت النصال عن النصال، بين المهدى وجوردون.. شخصيتان من ثقافتين وخلفيتين مختلفتين. ويروى تشرشل فى كتابه.. هناك اسمان، يرتبطان ارتباطا وثيقا بالانفجار الذى حدث فى السودان، أحدهما جنرال انجليزى والآخر قائد دينى عربى، ورغم الاختلاف الكبير بين جذورهما، فإنهما متشابهان فى العديد من الجوانب، كل منهما ذو حاسة وحمية ومشاعر دينية قوية، وعواطف جياشة، وكل منهما ذو عقيدة دينية قوية، وله تأثير كبير على من حوله، وكل منهما مصلح كبير، وكأن كل منهما نسخة من الآخر.. وفى النهاية تقاتلا حتى الموت.

من أجل المقدس

محمد أحمد - المهدى.. مازال اسمه يتردد باعتباره رائداً وزعيماً للأنصار، وهادياً لثورة حكمت السودان ثلاثة عشر عاماً. ويصفه تشرشل بالقول.. إنه كان زاهدا عن متاع الدنيا، وبدأ التمرد فى كل من سنار ودارفور ويلحظ تشرشل أن أصحاب المصالح، يسبغون على هذه المصالح أحد صور القدسية التى تدفع أتباعهم إلى تقديم التضحيات.. يقول.. لكى تحارب يجب إعطاء الناس الشعور أنهم يقاتلون من أجل هدف مقدس، وهذا يعطى الضوء الأخضر للمقاتلين والقادرين على التضحية، رغم أن

الدوافع قد تكون أبعد ما تكون عن هذا الهدف.. ولم تكن أسباب الثورة التى قادها المهدى دينية على الإطلاق.. بل كان الناس جاهزين لأى مغامرة تخلصهم من عبوديتهم، وكانوا فى انتظار القائد الملهم الذى يستطيع جمع الشمل والكلمة ورفع الروح المعنوية المنكسرة. وبالفعل فى صيف ١٨٨١ ظهر هذا القائد، وكأن كل الظروف تناديه.. وانتصر السودانيون بجرأتهم وشجاعتهم، ونالوا الحرية تحت راية قائدهم المقدس، ولم يتبق للحكومة سوى تجميع شتات الحاميات الباقية وإخلائها بأقل الخسائر، وكانت هذه بداية أخرى أكثر دموية، بدأت بالعار والمأساة، وانتهت بالانتصار، ويقصد هزيمة هيكس وانتصار أم درمان.. .. وكانت حركة المهدى اجتماعية، عنصرية!، فكان الناس يعيشون فى بؤس شديد، ولم يكن ممكنا حمل السلاح لمجرد الكسب المادى، فقدم المهدى الحماس الذى يفتقدونه. وبدأت الحرب، ومن السهل أن نضع كل اللوم على محمد أحمد. ونحمله مسئولية الدماء التى أريقت، ولكن المسئولية يتحملها الحكام الظلمة، وأولئك الذين يفتقدون الكفاءة الذين أضاعوا أرواح رجالهم، ومسئولية أولئك الوزراء الفاسدين الذين نهبوا خيرات البلاد.. لقد بث المهدى فى قلوب قومه الروح وبعث فيهم الحياة، وحرر بلاده إن بسطاء الناس الذين كانوا يعيشون شبه عراة، وطعامهم لا يزيد على الحبوب الجافة، وجدوا لأنفسهم فجأة معنى لحياتهم.. بل وأصبحت الحياة ملأى بالإثارة والأهوال المبهجة.. حياة ملأى بما هو جميل فى دنيا الخيال، ويكفى أنهم إذا لقوا حتفهم خلال القتال فمثواهم الجنة.. ونجاح المهدى لا يقل بجال عن انتصارات الفتوحات الإسلامية، مع فارق، أن المهدى واجه آلة الحرب الحديثة تدعمها العلوم والتقدم التقنى.. حقا كان محمد أحمد من أعظم أبطال عصره. ويصف إمبراطورية الدراويش التى دمرتها الحملة التى كان يقودها كيتشنر.. كانت فضيلتهما الكبرى هى الشجاعة، وهى صفة تنال الإعجاب ولم تكن نادرة بين صفوفهم، فقد جاءت الثورة بالحرب وعاشت بالحرب وانتهت بالحرب إنها الإمبراطورية التى استمرت ثلاثة عشر عاماً، وانتهت فى معركة أم درمان مثل الانفجار الذى خمد فجأة من صدمة عنيفة.

كرومر والمهدى

أما كرومر فينظر نظرة مختلفة للثورة المهدية، ولا يرى فيها سوى الزيف والخداع، وأظن أن الأذكى هو الذى يعترف لخصمه بقوته وهو ما فعله تشرشل.. ويزعم كرومر أن مصادر خاصة أبلغته بعد زيارتها للمهدى أنه يشرب الخمر فى مجالسه الخاصة، وأنه يتناول أمام أتباعه أبسط الأطعمة، ويتظاهر بالزهد، بينما تزخر مائدته بأشهى المأكولات، عندما يخلو إلى نفسه. ويصفه.. أنه كان يخفى فى أظافر يديه الشطة التى يضعها فى عينيه حتى تنهمر عيناه بالدموع، عند استقباله زوار، وحتى يقنعهم بخشيته الله، ولم يكن يؤمن برسالته فى دخيلة نفسه. وعلى أى حال.. بعد انتصار أم درمان عام ١٨٩٨، أمر كيتشنر فى وحشية وبربرية لا مثيل لها، بإخراج رفات المهدى الذى دفن فى قبر عميق فى ذات الغرفة التى مات فيها، لكى ينتقم ويتشفى فى عدوه ومن الصفحات المجهولة فى ملحمة السودان، أن قوات الاحتلال البريطانى لمصر قامت فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٢ بتسريح الجيش المهدى وهو نفسه الذى جرى فى العراق بعد غزو القوات الأمريكية. وفى نفس الوقت ظل جانب من هذا الجيش فى السودان، والذى يبلغ عدد جنوده ٢١ ألف جندى، و١١ ألفا من المدنيين.. وهو جزء من جيش عرابى، وكانت السلطات البريطانية تعمل على التخلص منه.. وعندما رغبت سلطات الاحتلال البريطانى فى الاستيلاء على السودان، تقرر تكوين جيش جديد، كل عناصره من مصر. ويذكر تشرشل فى كتابه.. أن الجندى المصرى يمكن أن يكون قاسياً ولكنه ليس شريراً وهو شجاع يلاقى الموت بلا مبالاة، وله فضائل عسكرية كثيرة، فهو مطيع وأمين وواع وذو خلق وسريع التعليم وفوق كل هذا قوى البنيان، ويستطيع أن يعمل بأقل طعام وبأقل حافز ولساعات طويلة تحت أشعة الشمس الحارقة. وعلى الجانب الآخر كان القرار فى القاهرة فى يد بريطانيا.. وبعد أن كانت سياسة مصر تدور حول نهر النيل ومنابعه وكان إبراهيم باشا يردد.. إن عظمة مصر ومجالها الحيوى فى السودان.. يورد د. محمد صبرى السوربونى قول رئيس الوزراء فى هذا الوقت شريف باشا للقنصل البريطانى.. إن السلطات العسكرية البريطانية تدمر

ذخيرتنا وعتادنا الحربى، ولا شك أنه كان من الممكن تبرير هذا الإجراء وقت كان الجيش العاصى! تحت السلاح، أما الآن، فلا سبيل إلى فهم أو تبرير ما يجرى.. وبعد أن كان عبدالقادر حلمى قائد القوات فى السودان، يقوم بدوره بكفاءة عالية، سحب من السودان واختير جوردون بدلا منه، وكانت بريطانيا تؤثر أن تدع الثورة تمتد وتقوى فى ربوع السودان، وتسعى إلى كسب الوقت حتى تتمكن قوات الثورة من تهديد الحدود الجنوبية لمصر، وبالتالى العمل على إخلاء السودان حتى يتحول الاحتلال البريطانى من احتلال مؤقت إلى احتلال ثابت.. الإمبراطورية السودانية فى ق١٩ - د. محمد صبرى حفل راقص تشارلز جوردون.. الطرف الثانى فى ملحمة السودان.. له شارع باسمه فى مسقط رأسه فى ساوثهامبتون، وكان له تمثال فى الخرطوم، وأعيد إلى انجلترا بعد الاستقلال سنة ١٩٥٦ وكان يطلق سابقا على جامعة الخرطوم جامعة جوردون. ويرى تشرشل فى كتابه.. إن التمثال الذى وضع لجوردون مع الضباط العظام الذين خدموا فى البحر والبر، أصبح مزاراً لافتا النظر، ومن الاستحالة أن نتبين المكانة التى سيحتلها جوردون فى التاريخ البريطانى، ولكنها بالضرورة ستكون مكانة عالية، ولكن هل سيوضع فى مكان قائد عسكرى؟ سيقرر ذلك من يأتون بعدنا.. وتتسم حياة جوردون بالغرابة والتقلب الدائم.. فقد قاد يوماً جيشا صينيا، وأدار يوماً ملجأ للأيتام، وكان أخيراً حاكما عاما للسودان. ويقول عنه آلان مورهيد.. أنه واحد من قائمة طويلة من جنود الكتاب المقدس، يبدأ يومه بقراءة صفحات من التوراة ويخرج وقد استمد إلهاماً يرفع من روحه المعنوية.. لم يتزوج، ولا يوجد دليل على أن له ميولا جنسية شاذة، بل الأرجح أنه كان معادلاً، لا هو بالذكر ولا هو بالأنثى. وجاء فى كتاب تشرشل.. كان جوردون يشعر بكبر حجم السودان وقلة نفعها، وكان يحمل تعليمات الحكومة البريطانية، رغم أنه ذهب باسم الخديوى،.. وأعطته الخارجية البريطانية سلطات كاملة وحرية تامة ووجد نفسه محاطا بحركة وطنية جبارة، ومد ثورى ضد كل ما هو أجنبى، وحركة ذات حافز دينى قوى.. وحتى جنوده كانوا يؤمنون بالإسلام الذى جاء لمحاربته!. ويحسب لجوردون، أنه استطاع السيطرة وإدارة الأمور فى الخرطوم تلك

المدينة المحاصرة لما يزيد على ٣١٧ يوماً، وهو المسيحى الأجنبى الموجود فى بحر من المسلمين، كما يحسب له أنه استطاع السيطرة على سبعة آلاف مقاتل من أجناس مختلفة وأنه بث روح الشجاعة فى أكثر من ٣٠ ألفا من سكان المدينة. وإنه قاوم عدواً قويا.. أما ما ذكره كرومر عن جوردون، فرأيى يختلف عن رأى تشرشل.. رغم أن كليهما يقفان على أرضية استعمارية مشتركة، فجوردون عند كرومر، رجل سكير متعصب لديه ميول إجرامية، حاد الطبع يتأرجح بين العقل والجنون. يلجأ إلى الرسول أشعيا وقت الملمات وهو مهيأ بالتالى لعدم طاعة أوامر أحد. وكانت الشهور الثلاثة الأولى من عمله فى القاهرة عام ١٨٨٤ أسوأ فترات حياته، عندما تعامل مع مهمة جوردون فى الخرطوم والذى كانت مهمته إخلاء السودان من الحاميات المبعثرة فى أرجائه. وكان لتأييد الرأى العام لمهمة جوردون عواقب وخيمة.. واعتدت أن يصلنى منه خلال اليوم عشرون أو ثلاثون برقية تناقض أولها آخرها، ولا يخضع لأية تعليمات. وينقل كرومر عنه رأيه فى الثورة.. أود أن أنهى إليك ما أشعر به نحو هذه الثورة الجوفاء مثل الطبل، والذى يستطيع خمسمائة من ذوى العزم قمعها،.. ولكنى أكاد أجن نتيجة ضعفنا. وإذا نجحت فستواجهون فى كل البلاد الإسلامية متاعب كبيرة على نفس الشكل.. . وإنه يميل إلى تحطيم المهدى أكثر من إخلاء السودان، المهمة التى أرسل إلى السودان من أجلها. ويقول عند سقوط الخرطوم وقتل جوردون.. سجل التاريخ أحداثا قليلة، ربما أثرت فى أخيلة وتصورات الناس ليس أكثر مما صدر عن هذا الرجل الذى وقف بقوة عقيدته وسط أخطار تخلع قلب أشجع الرجال.. ولم يكن غريبا، أن يقوم كرومر وزوجته بإقامة حفل راقص بالملابس الرسمية بعد معرفتهم خبر مقتل جوردو!

اجتماع الأضداد

ويرى المؤرخ المصرى محمد صبرى السوربونى.. أن جوردون رجل غريب تجتمع فيه الأضداد.. وان انجلترا قد فرضته على إسماعيل، وهذا يفسر اضطراب سياسته، ولقد وصل إلى السودان وهو فى سلم ورفاهية، وتركه سنة ١٨٧٩ ينوء بالدين ويهم بالثورة.

ولم تحدث الثورة من سوء الإدارة ولكنها من سيطرة الأجانب، وكان المهدى بحيث أنصاره على محاربة الترك والأجانب.. ويكتب شريف باشا رئيس الوزراء المصرى إلى كرومر فى ٣ ديسمبر ١٨٨٣.. إن الحكومة المصرية ضد استعمال جوردون لأسباب كثيرة أهمها أن حركة السودان ذات صبغة دينية، وتعيين مسيحى فى القيادة قد يكون من شأنه تغيير موقف الأهالى.. . ويضيف السوريونى.. أن بريطانيا كانت تسعى للفوضى والمذابح والنهب والسلب، وتأتى على جميع أشكال العمران التى أقامتها الإدارة المصرية منذ عهد محمد على.. حتى تصح القاعدة الاستعمارية على السودان.. الأرض التى لا مالك لها.. وأن تصبح مصر أداة لها، وتلعب السودان دور القاعدة للتوسع الإمبراطورى فى افريقيا. وإخلاء السودان، كان التمهيد للاحتلال البريطانى، وثورة المهدى تقدم مبرراً للقوات البريطانية للبقاء فى مصر. وخاضت بريطانيا بعد إخلاء السودان. المعركة العسكرية بجنود مصريين وتمويل مصرى..

الأفغانى مع المهدى

وهذا يقودنا إلى صفحة أخرى من التاريخ، يتجاهلها المؤرخون وقلما يذكرونها، وهى تلقى الضوء على الكثير من الأسئلة التى دارت فى تلك الأيام من ذلك.. تأييد كل من جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده لثورة المهدى فى السودان، ويروى إبراهيم باشا فوزى فى كتابه.. السودان بين يدى جوردون وكتشنر التعليمات المشددة التى ألقاها المهدى على قادة جيشه لكى يأسروا جوردون حيا حتى يستبدل به عرابى من منفاه، ولكن رجاله قتلوا هذا الانجليزى.. فغضب المهدى غضباً شديداً، لأن جانبا مهما من سياسته قد تهاوى.. . وجاء فى قصة حياة محمد عبده التى كتبها محمد صبيح مزيد من التفاصيل عن التشابك بين الثورة العرابية والثورة المهدية، يقول.. لا شك أن المهدى كان يسير على طريق حزب الأفغانى، وينفذ برنامجه الذى زاده انتصار الثورة تأججا وتوهجاً.. ويكتب الأستاذ الإمام فى إحدى رسائله.. إذا رأيت فلانا.. فبين له أن قوة الاتحاد فى الجنوب، أفزعت قوة النيران فى الشمال، وأن نيران القلوب أذابت المدافع.. أما والله إن غلب المسلمون عن تفرقة وتخاذل، فلن يغلبوا عن ضعف وقلة..

وينقل محمد صبيح عن رشيد رضا قوله.. إن جمال الدين كان يريد اللحاق بمحمد عبده إلى الخرطوم إذا نجحت مهمته ومساعيه. ولكن وقع حادث مفاجيء قلب الخطط كلها، وهو وفاة المهدى وتولى التعايش مكانه وها هو شاهد عيان يؤكد واقعة رغبة المهدى الإبقاء على حياة جوردون ومقايضته بعرابى.. إنه رودلف كارل فون سلاطين الذى يسجل فى مذكراته.. السيف والنار فى السودان وهو الضابط النمساوى الذى كان حكاما لدارفور عام ١٨٨٤، والذى قضى ١٢ عاماً فى صفوف قوات المهدى، يقول.. عندما أحضر رأس جوردون للمهدى، قال إنه كان يود أن يأتى إليه جوردون حيا، حتى يعرض عليه الدخول إلى الإسلام، ثم يقايض به الحكومة الإنجليزية للإفراج عن عرابى. إننا أمام ملحمة غنية بالدراما، وتبحث عن عمل روائى يتناول بعض جوانبها. ومازالت الحركة المهدية فى السودان والسنوسية فى ليبيا والوهابية فى الجزيرة العربية، تحتاج إلى دراسة عميقة فى ضوء العصر، وبعد التجارب القاسية التى مرت بنا، وهى الحركات التى واجهت الموجة الأولى الاستعمارية.. والبحث عما آلت إليه، فإن كانت بدأت بمناهضة الاستعمار إلا أنها انتهت فى أحضانه. والآن تخوض أمريكا الزعيمة الجديدة للاستعمار العالمى معركة للسيطرة على السودان بدءا من دارفور.

■ ■ ■



تشـــرشل والعـــراق

□□

«إذا كنت تريد معرفة جذور الصراع فى العراق هذه الأيام، والتغير الذى طرأ على حياتنا من جراء ذلك، فهذا الكتاب يعطيك البداية الصحيحة» بصفته وزير المستعمرات البريطانية فى العشرينات، ارتكب وينستون تشرشل خطأ كانت له عواقب وخيمة. فى «حماقة تشرشل» يحاول الباحث كريستوفر كاثروود تحليل الطريقة التى أقام بها تشرشل ملكية مصطنعة فى العراق فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، ومن ثم جمع عنوة بين شعوب غير متحابة تحت سطوة حاكم واحد . ويجادل الكاتب فى أن الخريطة التى رسمها تشرشل للشرق الأوسط هى المسؤولة مسؤولية مباشرة عن قيام نظام صدام حسين والصراعات الدموية الكثيرة التى أعقبته، متحدياً الموجة العالمية الجارفة للمشاعر القومية، ورغبة الشعوب فى حكم نفسها بنفسها، يحاول الكتاب أن يشرح كيف قام وينستون تشرشل عنوة بلم شتات فتات الامبراطورية العثمانية وخلق منه لغم شرق أوسطى قابلا للانفجار فى أى لحظة. فبتحريض العرب فى ظل حكم الأتراك العثمانيين على الثورة ضد حكامهم، نجح البريطانيون والفرنسيون أثناء الحرب العالمية الأولى فى اقناع العشيرة الهاشمية بأن حكمها سيشمل سوريا، فى حين أن بريطانيا كانت فى حقيقة الأمر قد وعدت الفرنسيين بهذه الأرض نفسها.

ويتابع الكتاب انه لإصلاح الأمر، قام تشرشل بخلق دولة العراق ونصب الزعيم الهاشمى، الملك فيصل، ملكاً على أرض لم تكن تربطه بها صلة من أى نوع على الإطلاق. وأسفر قرار تشرشل عن انقلاب عسكرى فى عام ١٩٥٨ ضد الحكومة الهاشمية العراقية وعن سلسلة من الأنظمة الدموية بشكل متزايد حتى كابوس الخضوع لحكم

حزب البعث فى نهاية المطاف بزعامة صدام حسين، الذى أدى بدوره الى اشتعال الحرب العراقية- الإيرانية فى الثمانينات وحرب الخليج الأولى فى عام ١٩٩١ وأخيراً الغزو الأمريكى للعراق فى عام ٢٠٠٣ الذى فرخ بدوره حرب العصابات الدموية التى أعقبته. هذا المجلد الجامع يتضمن ثمانى صفحات من الصور الفوتوغرافية تضاف الى هذا التاريخ الأخاذ حول قرار تشرشل والتركة المرعبة لانهيار الإمبراطورية العثمانية. ففى أعقاب الحرب العالمية الأولى، تنافست كل من بريطانيا وفرنسا على اقتسام غنائم انهيار الإمبراطورية العثمانية فى الشرق الأوسط. فسيطر البريطانيون على فلسطين، وحاولوا تنصيب «أنظمة ملكية دمى» فى المملكة العربية السعودية، على حد تعبير الكاتب. وفى عام ١٩٢١ أرغما عنوة شعوباً متعادية من الأكراد والسنة والشيعة على الاتحاد فى مملكة عراقية مصطنعة وغير مستقرة، تخضع لحكم الملك الهاشمى فيصل المفروض عليهم عنوة أيضاً. ويزعم المؤرخ كاثروود أن هذا الشكل من أشكال الحكم غير المباشر كان بمنزلة خلق «إمبراطورية نخبوية» كما صاغها تشرشل بصفته وزيراً للمستعمرات البريطانية آنذاك. كان البريطانيون المستنزفون اقتصادياً بعد الحرب العالمية الأولى نهيمن على الغنائم وأرادوا اقتناص ما تبقى من فتات الامبراطورية العثمانية بثمن بخس. وبدا لهم أن العراق المترامى الأطراف يستحيل أن يذعن لحكم حامية محدودة العدد. ويلفت كاثروود إلى أن الانتدابات المفروضة بالقوة تتصدع حتماً، وأن تشرشل أقر فى النهاية بأن بريطانيا تنفق الملايين «من أجل العيش فوق فوهة بركان قابل للانفجار فى أى لحظة» فى مقالة تاريخية قيمة امتدت الى كتاب قصير، يستعرض كاثروود مرة أخرى قصة نفعية واستغلالية جيل مضى تحولت إلى مأساة جيل حالى.

إن النظر إلى تشرشل وأفكاره وتاريخه يساعدنا على فهم الوضع الحالى فى العراق بصورة كبيرة فالشرق الأوسط الآن أمام لحظة تشرشلية جديدة، كما أن تقسيم العراق..

ثمن الانسحاب الأمريكى

ففى ليلة باردة من ليالى عاصمة الامبراطورية البريطانية عام١٩٢٢ اجتمع وزير المستعمرات البريطانى ونستون تشرشل(رئيس وزراء بريطانيا لاحقا) مع مساعديه لرسم خريطة جديدة للمنطقة تناسب الامبراطورية البريطانية بعد انتهاء الحرب العالمية(الأولى) وبعد الانتهاء من الاجتماع سأل تشرشل مساعديه: هل أهل الشرق الأوسط راغبون أو قادرون على الاستمرار فى العيش معا وفق هذا التصور(الخريطة الجديدة) الذى تضمن وضع حدود سياسية بين الدول العربية واقتطاع أراض وضم أخرى، وانشاء كيانات عربية جديدة(امارة شرق الأردن) وغير عربية(اسرائيل) ؟! وبصرف النظر عن اجابة مساعدى تشرشل على السؤال فقد أجاب العرب عليه.. لقد تكيفوا !؟يواجه العرب خطة تشرشلية جديدة.. أمريكية هذه المرة فقد باتت فكرة تقسيم العراق قريبة من بوابة الفيدرالية وتحت عناوين براقة مثل التوزيع العادل للثروة النفطية. وتروج مراكز بحوث ودراسات استراتيجية أمريكية قريبة من الادارة صراحة الآن لفكرة تقسيم العراق بزعم أن ذلك سيساهم فى جعل العراق اكثر أمنا واستقرارا ومن بينها مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط بمعهد بروك ينجز الذى يدعو فى دراسة أعدها ادوارد جوزيف وميشيل هانلون الى تقسيم العراق الى ثلاث دويلات كردية فى الشمال وسنية فى الوسط وشيعية فى الجنوب يكون لدى كل منها مسئولية كاملة عن الحكم والأرض. ويعتبر التقرير تقسيم العراق سيعد مقبولا بمقارنة ذلك بالوضع الحالى والحرب الأهلية والطائفية المستمرة حاليا فيه وفى ضوء فشل جهود المصالحة الوطنية فى العراق.. ويرى التقرير أنه ازاء النتائج المحتملة للانسحاب الأمريكى من العراق فان التقسيم- حسب التقرير- هو الحل الوحيد لتحقيق المصالح الأمريكية وتجنب انفجار حرب أهلية ويضم التقرير خرائط تقسيم البلاد والعباد والثروة. وتأتى خطط تقسيم العراق فى اطار تداعيات النظام أحادى القطبية بانهيار الاتحاد السوفيتى بنهاية عام١٩٩١ ورسم الولايات المتحدة خريطة جديدة للعالم والشرق الأوسط بدأت بتلاشى الصومال من على الخريطة مرورا

بتجميد عملية السلام ونصح المحافظين الجدد لرئيس وزراء اسرائيل السابق نيتانياهو بعدم تنفيذ الاتفاقيات مع الجانب الفلسطينى وليس انتهاء لغزو العراق وباثارة النزاعات فى جنوب السودان ودارفور وفى لبنان وعزل سوريا والتصعيد ضد ايران. ورافق ذلك مشاريع عسكرة الشرق الأوسط وطرح دور لقوات دولية تحت قيادة أمريكية لحلف الأطلسى(الناتو) فى حفظ الأمن فى أفغانستان والسودان ولبنان والأراضى الفلسطينية المحتلة والأوروبيون ليسوا بعيدين عن الخريطة الأمريكية الجديدة. وقد كشف وزير خارجية ألمانيا السابق يوشكا فيشر فى كتابه مقبض القوة أن الادارة الأمريكية ترسم خريطة سياسية وثقافية جديدة للشرق الأوسط واعتبر ما سمى مشروع الشرق الأوسط مقدمة ويؤكد أن الأوروبيين على الخط مع الأمريكيين وأن الاختلاف هو فى التفاصيل ومن ثم لا يناوئ الأوروبيون الخطط الأمريكية بل يدعو فيشر الى استراتيجية أمريكية أوروبية مشتركة تحاول أن تجد حلولا لمشاكل المنطقة خاصة النزاع العربى، الاسرائيلى كخطوة أولى على طريق عملية اعادة تشكيل المنطقة وتشجيع ودعم التحول الديمقراطى فى دولها. فبينما كانت اتفاقية سايكس- بيكو عام١٩١٦ اتفاقية بين أكبر قوتين استعماريتين وقتها لتقسيم مناطق النفوذ والمستعمرات فان الولايات المتحدة وبرغم كونها القوة العظمى الوحيدة الآن فى العالم حرصت على أن تشرك الأوروبيين والدول الصناعية الكبرى فى تنفيذ مشروعها لتجنب أى معارضة، وتجلى ذلك فى عرض الادارة الأمريكية مشروع الشرق الأوسط الكبير على الدول الصناعية الثمانى الكبرى فى قمة سى ايلاند عام٢٠٠٤ حيث حظى المشروع بدعم الدول السبع الأخرى. وتجدر الاشارة الى أن سايكس بيكو وضعت حدودا سياسية وادارية بين ولايات الخلافة العثمانية العربية والاسلامية قسمت الطوائف والثروة ووضعت بذور نزاعات حدودية وزرعت وسطها دولة يهودية بعد قمة سى ايلاند وفى فبراير٢٠٠٥ خلال مؤتمر ميونيخ للسياسات الأمنية بحثت الادارة الأمريكية مع الأوروبيين دور حلف شمال الأطلسى(الناتو) فى عملية السلام فى الشرق الأوسط. وفى الحادى والعشرين من نفس الشهر شهدت العاصمة البلجيكية بروكسل القمة الأمريكية الفرنسية حيث أعلن عن الشراكة

الأمريكية الأوروبية الجديدة، وفى أعقابها أدركت فرنسا أنها أخطأت بعدم تأييد غزو العراق ٢٠٠٣ فباعت سوريا للولايات المتحدة وبدأ مخطط استهدافها انطلاقا من لبنان. وفى القمة الأمريكية الأوروبية فى يونيو عام٢٠٠٥ بواشنطن أعلن الطرفان تبنيهما برامج لتشجيع ودعم الديمقراطية فى المنطقة؟وليس صحيحا أن أحداث١١ سبتمبر٢٠٠١ كانت وراء التفكير الأمريكى فى اعادة صياغة الشرق الأوسط فلم تكن تلك الأحداث سوى اللحظة المناسبة التى وفرتها الأقدار للانطلاق نحو التنفيد بغزو العراق وطرح مشروع الشرق الأوسط الكبير والترويج لأن عرب ومسلمى هذه المنطقة يتحملون مسئولية مشاكل العالم (الإرهاب). لاتعكس تصريحات القيادات والمسئولين احساسا بوجود تحديات وتهديدات تواجه وجود دولهم ومستقبلها.. فقط بيانات اكاديمية الطابع مثل الحديث عن أن هذا المشروع أو ذاك تهديد للهوية دون طرح رؤية واستراتيجية للتعامل مع هذا التهديد، أما ايران فقد طرحت مشروعا اسمه الشرق الأوسط الاسلامى وتسعى الى تشكيل مايسمى بـ جبهة موحدة فى مواجهة التهديدات الخارجية وهو طرح عاطفى يدخل المنطقة فى حروب أهلية على نحو ما شهده قطاع غزة مؤخرا من اقتتال بين حركة فتح وحركة المقاومة الاسلامية (حماس). ولاتعارض الدول العربية الفيدرالية الباب الملكى لتقسيم العراق وتورطت بعضها فى التعامل الطائفى مع العراق بادعاء حماية السنة، أما أهل العراق فهم يسهلون التقسيم حيث التعامل مع القضايا الداخلية يتم على أساس عرقى (عربى - كردى - تركمانى - آشورى) وطائفى (سنى - شيعى - مسيحى) كما تعاملوا مع توزيع المناصب على هذا الأساس (رئيس كردى سنى ورئيس وزراء عربى شيعى ورئيس برلمان عربى سنى).

يبدو أن الرئيس الأمريكى جورج بوش وادارته والمحافظين الجدد من الثورانيين ليسوا فى حاجة الى الاهتمام برد الفعل العربى على خريطة جديدة للمنطقة بل ربما ليسوا فى حاجة اصلا الى طرح سؤال كهذا! فقد ساعدهم بعض العرب أساسا فى اتمام غزو العراق بنجاح.

■■■



تشــرشل وأمــريـكـا

□□

فى آخر كتابين صدرا حديثا حول رئيس الوزراء البريطانى الأسبق ونستون تشرشل «تشرشل والحرب» لجـ يفرى بست و«تشرشل وامـ يـركا »لمارتين جلبرت، يقول مؤلف الكتاب الآول فى مقدمة كتابه «كانت الحرب بالنسبة لتشرشل تشكل الثقل المركزى فى حياته.

قبل ان يكون تشرشل رجلا سياسيا كان جنديا ومراسلا حربيا، «ابلى بلاء حسناً» فى عدة حملات عسكرية ابتداءً من خدماته على الجبهة الشمالية الغربية والسودان خلال التسعينات من القرن الماضى وحتى حقول جنوب افريقـ يا خلال حرب البوير الجبهة الغربية عام ,١٩١٦ كما وكان القائد السـ ياسى لجميع الوزارات العسكرية الثلاث: اولاً اميراً للبحرية لفترتين من ١٩١١ وحتى ١٩١٥، ثم من ١٩٣٩ وحتى ١٩٤٠، وثانياً وزيراً للحربية والقوات الجو ية من ١٩١٩ وحتى ١٩٢١، وثالثا توليه منصب وزير الدفاع وفى نفس الوقت رئيساً للوزراء خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠-١٩٤٥).

عام ١٩٤٤ كتب طبيبه الخاص اللورد موران يقول بأن الحرب بالنسبة لتشرشل كانت تعنى «فعلاً رومانتـ يكـ ياً» وانه «منذ اللحظة المروعة، حـ ينما هرب من البويريين فى حرب البو ير وحتى سنوات ١٩٤٠-١٩٤١ فان اكبر الاثارات التى كان باستطاعته ان يستذكرها كانت جميعها ترتبط بمسألة الحرب» وكوزير للتجهيزات العسكرية من عام ١٩١٧-١٩١٩ «كان على تشرشل ان يدرك كم ان التعبئة الفعالة للمواطنين والموارد

الوطنية هى من الأهمية الحاسمة فى مرحلة التصعيد لحرب شاملة» وفى الحقيقة، ان الربط بين الممارسة العسكرية، المعرفة الادارية والخبرة السياسية قد هيأت تشرشل جيداً للقيادة فى الحرب العالمية الثانية التى تعتبر ذروة ما قدمه خلالها من خدمات عسكرية وسياسية.

«رومانتيكية» تشرشل مع الحرب بدأت تقليديا من خلال ولادته ونشأته وسط عائلة من دوقات مالبورو لأب صاعد سياسيا وأم تنتمى لأب اميركى مليونير، الأمر الذى جعل تشرشل فى موقع متقدم.

الصورة التى يرسمها المؤلف جفرى بست هى صورة شاب ولد عام ١٨٧٤ خلال شروق شمس الامبراطورية البريطانية، مكرساً اهتمامه بلعب دمى الجنود وحالماً بمستقبل عسكرى. وهى بالتأكيد صورة تتكرر فى العديد من دور الطبقة الوسطى والراقية فى المجتمع الفكتورى. ان ما كان يميز تشرشل هو فى الواقع قابليته فى تحقيق احلامه واستثمارها. فمن البداية المبكرة جداً، حينما كان يراقب عمليات التمرد الاسبانى المضادة فى كوبا عام ١٨٩٥ أبدى موهبة غير اعتيادية لنيل الشهرة الشعبية، وذلك من خلال الكتابة عن تجاربه الشخصية وكسب مبالغ لا بأس بها من المال جراء ذالك.

الكتب الأولى التى نشرت لتشرشل، خاصة كتاب «حرب النهر»الذى يعتبر من افضل الكتب التى تحدثت عن حملة السودان عام ١٨٩٨حتى الآن، جلبت له شهرة عالمية واسعة وساعدت على ترشيحه للبرلمان عام , ١٩٥٥ لقد اسس تشرشل لكتاباته ومنذ البداية الطابع المذكراتى التاريخى، كذلك اتخاذ نفسه مثالا من خلال سرده الروايات المقنعة والبليغة عن الحربين العالميتين.

ان تأثير روايات تشرشل التاريخية الخاصة التى فى معظمها تدور عن الحرب العالمية الثانية تسود اغلب صفحات الكتابين. فمارتين جلبرت، فى كتابه «تشرشل واميركا» يوظف علاقة تشرشل مع الولايات المتحدة الاميركية على اساس رومانتيكى

شبيه بمعالجة كتاب بست عن موضوع الحرب. كتاب مارتين يخبرنا عن «قصة حب تشرشل الحقيقي»للولايات المتحدة الاميركية، وهي «قصة حب»كان تشرشل قد عززها بداية بزيارته الى نيويورك عام ١٨٩٥، ثم تعاقبت زياراته حتى زيارته الأخيرة عام ١٩٦١. بعد ذلك اخذ تشــرشل يفصــح عن نسبه المحتد، حتى انه زعم في عمر متأخر (رغم عدم وجود أدلة يقينية) بأن من ضمن أسلافه القدامى كانت امرأة هندية.

وكان تشرشل، في الفترات التي تقع ما بين الحروب، يتمتع بحياة مترفة ومكلفة، فاتجه لجمع مقادير كبيرة من المال من خلال رحلاته الاميركية لالقاء المحاضرات ومن عمله الصحافي. ففي عام ١٩٢٩ دفع اليه مبلغ (٦٥) الف باوند استرليني (حسب قيمة الباوند اليوم) لقاء إلقاء محاضرة واحدة فقط في نيويورك وحوالي (٨٠) الف باوند لكل مقال من المقالات الاثنين والعشرين لحساب إحدى المجلات. ويخبرنا الكاتب مارتين جلبرت ايضا عن تصميم تشرشل في منتصف الثلاثينات «للحفاظ على السلام الشامل في اوروبا» ويشير المؤلف إلى ان تشرشل حينما كان يذهب إلى الولايات المتحدة الاميركية كان يلمّع ويصقل كل عبارة من عباراته حول الرباط الدموي الخالد للشعوب المتحدثة بالانجليزية.

ورغم دمه الامريكي «المراوغ»فإن التراث الاطلنطي العام الذي كان تشرشل يدافع عنه هو في جملته يتألف من البيض والانجلو - سكسوني. «إنه» اي هذا التراث «هو نتاج لساننا المشترك وقانوننا الاساسي المشترك ومفصل تراثنا الادبي ومثلنا، انه رباط نسبنا الاحمر»هذا ما اخبر به تشرشل مستمعيه في اطلنطا، التابعة لولاية جورجيا عام ١٩٣٢.

ليس كل الامريكيين بالطبع مقتنعين بمبالغات تشرشل عن العلاقة الانجلو - امريكية. فصحيفة «الواشنطن بوست»تعتقد بأن تشرشل كان «يحاول ان يتملق الولايات المتحدة الاميركية حتى تتولى بعض مسؤوليات بريطانيا» وفي الحقيقة كان ذلك بالضبط ما فعله تشرشل، وبشكل خاص خلال الحرب العالمية الثانية.

بعد سقوط فرنسا عام ١٩٤٠ اخذ تشرشل يتوسل روزفلت، فى رسالة تلغرافية فى الرابع من مـايو ١٩٤١ لإعـلان الحـرب. لكن الرئيس الامـيـركى لم يرد على هذه «الاستغاثة المنكدة»

وبعد لقائه الأول، فى يوليو ١٩٤٥، بخليفة روزفلت، قال عنه هذا الأخير، الذى يبدو أنه استوعب شخصية تشرشل: «تكلم بكثير من الهراء حول عظمة بلدى وكم يحب روزفلت وكم سيحبنى.. . إلخ.. . إلخ.. . » لقد شعر ترومان بأنه يمكن ان يستمر مع «هذا الرجل الانجليزى»ما دام «لا يحاول ان يتملقنى كثيراً» لكن عند هذه المرحلة، ربما كان التملق هو كل ما يستطيع ان يقدمه تشرشل. كانت جهود بريطانيا الاستثنائية خلال الحرب قد تركت البلاد فى حالة استنزاف وفقر.

إن حقيقة «العلاقة الخاصة» التى أسست خلال الحرب العالمية الثانية، التى عمل تشرشل كثيرا على توطيدها، قد ساهمت فى تثبيت دعائم سلطة بريطانيا فى النصف الثانى من القرن العشرين.

لكن كيف كانت الجذور؟

كيف نجح تشرشل فى أن يزج بالولايات المتحدة فى أتون المعركة؟

هنا تبرز أهمية المخابرات.

وهو الأمر الذى اتضح بجلاء فى الحرب العالمية الثانية على يد عدد من العمليات التى خاضتها المخابرات البريطانية ضد المخابرات الألمانية وغيرت بها مسار الحرب نهائيا بعد أن كان أدولف هتلر قد اكتسح سائر أوربا ولم يتبق له إلا الأسد البريطانى المتهالك من ضربات قنابل الألمان فوق جزيرتهم فاستعادت المخابرات البريطانية توازنها وخبرتها وكان تشرشل رئيس وزراء الحرب يعرف جيدا ما الذى يمكنه عمله عن طريق مخابراته فنجحت المخابرات البريطانية فى القيام بعدة عمليات لا زالت مسجلة باسمها باعتبارها من أقوى عمليات التخابر فى التاريخ تأثيرا على الأحداث.. حيث تمكن رجل المخابرات البريطانى آيان فيلمنج - وهو نفسه مؤلف ومبتكر شخصية جيمس بوند فيما بعد - من تكوين فرقة انتحارية يكون هدفها العمليات المستحيلة

فى مسار الحرب وأنجاز بعض من الأعمال التى تؤدى الى انفلات الثقة الألمانية بجيشها ونجح بالفعل عن طريق فرقته فى الهجوم الخاطف على عدد من مقرات الجيش الألمانى بأوربا بأساليب عسكرية غير معروفة وغير مطروقة إضافة إلى تكوينه لما سماه بالإذاعة الألمانية وهى إذاعة موجهة للشعب الألمانى أخذت فى بث روح الحماسة والتأييد للجيش الألمانى على نحو أعطاها ثقة الشعب والجيش بل وهتلر نفسه التى ظنها إذاعة صنعها وقام ببثها شباب أوربا المحب والمبهور بهتلر وكانت الإذاعة تكيل السخرية والسب لبريطانيا لتكتسب المزيد من الثقة واستمرت فترة على هذا النحو ثم بدأت شيئا فشيئا فى دس السم فى العسل فبدأت تورد أخبارا من شأنها ضرب الروح المعنوية للألمان وإفقادهم الثقة فى قادتهم فبثت الإذاعة أخبار هوس الجنرالات الألمان بالغنائم الحربية فى أوربا وإسرافهم الشديد وميلهم للحفلات الماجنة إلى غير ذلك من الأمور التى كانت تثير صغار الضباط والجنود والشعب أيضا كما تمكنت المخابرات البريطانية من حسم أهم المعارك التى تحول بسببها مجرى الحرب عندما تأهبت قوات الحلفاء للنزول على إحدى الجزيرتين كورسيكا أو سردينيا بالبحر المتوسط وكان الألمان يوزعون قواتهم على الجزيرتين ولا يعرفون فى أيهما ستكون الضربة فقامت المخابرات البريطانية بأخذ جثة شاب بريطانى توفى غرقا منذ أيام قليلة وألبسوها حلة عسكرية لضابط جو وأتقنوا الخدعة إلى أقصى حد عندما أدخلوا إلى جيب الحلة العسكرية خطابا عسكريا مختوما يحمل توجهات تخالف النية التى عقدها الحلفاء وقاموا بدفع الجثة إلى الشواطئ الأسبانية إمعانا فى الخداع ليظهر الأمر وكأن الضابط قد مات غرقا عندما فشلت عملية إنزاله فى البحر ليؤدى مهمته بإبلاغ الوثيقة للقوات البريطانية المتأهبة للقتال ولأن أسبانيا كان هواها مع هتلر فقد منحت الجثة للألمان وابتلع الألمان الطعم وحشدوا قواتهم فى إحدى الجزيرتين ليأتيهم الهجوم صاعقا من الجزيرة الأخرى وتكبد الألمان فيها خسائر مهولة لأول مرة منذ بدء معارك الحرب أما أخطر ما قامت به المخابرات البريطانية على الإطلاق فهى قيامها بخداع حليفتها الصدوق الولايات المتحدة الأمريكية لدفعها لتعلن الحرب على ألمانيا وكانت القصة قد بدأت عندما بذل تشرشل جهودا خرافية لإقناع روزفلت الرئيس الأمريكى

بدخول الحرب مع الحلفاء وعدم الاكتفاء بالتمويل وهو الأمر الذى كان يرفضه روزفلت ويرفضه الشعب الأمريكى الذى لم ير فى نفسه حاجة إلى أن يدخل حربا ضروسا ليس له فيها مصلحة تقتضى التضحية بالجيش أمام القوة الألمانية واليابانية ولم يجد تشرشل أى وسيلة لإقناع روزفلت بدخول الحرب والذى تشبث بأن الشعب لن يرضى الدخول فى حرب تبعد عنه آلاف الأميال لمجرد مناصرة أصدقائهم بأوربا ففكر تشرشل فى أن الرئيس والشعب الأمريكى لن يدخل الحرب إلا إذا نالهم من نارها ضرر مباشر وأعطى تعلمياته لجهاز المخابرات البريطانى بتدبر الأمر، وبالفعل تمكن البريطانيون من زرع معلومة خاطئة وتسريبها للمخابرات اليابانية عن نية الأسطول الأمريكى القيام بضربة وشيكة ضد القوات اليابانية فى المحيط الهادى وبمنتهى الحماقة وخفةِ العقل ابتلع اليابانيون المعلومة واقتنعوا بها ليقرر القادة اليابانيون القيام بضربة إجهاض بسلاح الجو اليابانى ضد الأسطول الأمريكى القابع فى المحيط الهادى وقامت الطيران اليابانى بالفعل بمهاجمة الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربر ودمره عن آخره فى دقائق معدودة ولم يستطع الأسطول الدفاع عن نفسه مع الهجمة المفاجئة بأى مقياس عسكرى إضافة إلى براعة اليابانيين المعروفة فى أسلوب عملهم بالطيران حيث أن فرق الكاميكاز كانت يقوم طياروها بالهجوم بجسم الطائرة نفسه على الهدف لينفجر به إذا استعصى عليه ضربه بالقذائف وكانت خسائر الولايات المتحدة فوق تصورهم واهتزت الرأى العام الأمريكى للحادثة ولم يكن صعبا أن تدخل الولايات المتحدة الحرب بكل قوة بعد أن أصبح لها فى قلب الحرب معارك وضحايا لوبالطبع بقى دور بريطانيا سرا مغلقا لمدة تزيد هم خمسين عاما حتى تم كشف الوثيقة بمضى خمسين عاما ليثير الإعلان عن العملية ضجة عالمية كبرى.

غير أنه يبرز سؤال مهم:

لماذا يحاول الأمريكان اليوم إحياء تشرشل؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول: فى الولايات المتحدة، وبخاصة فى بعض أوساطها السياسية والأكاديمية، ولع جديد بسيرة السير ونستون تشرشل، رئيس وزراء

بريطانيا الأسبق، وهى سيرة تستحق فعلا أن تناقش، وأن يطلع عليها وعلى الجدل الدائر حولها الأجيال الجديدة. فقد ترك الرجل بصماته واضحة فى مواقع كثيرة، أهمها على الإطلاق لحظات النهاية فى الإمبراطورية البريطانية وتسليم مقاليدها للولايات المتحدة، ومنها أيضا مسيرة اليمين المتطرف فى الغرب وحركات التعصب الحضارى والعلاقات المأزومة دائما بين الدول العربية والدول الغربية.

ففى الشهور القليلة الماضية صدرت كتب عديدة تستعيد أمجاد تشرشل وخيباته وتستأنف من خلالها السجال حول الحرب العالمية الثانية، والسؤال عما إن كانت ضرورية أم حربا لم توجد حاجة لنشوبها. وإلى جانب الكتب نشرت عروض تناقشها ومقالات تبحث فى ظاهرة أطلق عليها كاتب أو أكثر ظاهرة عبادة تشرشل كشخص ورمز ومدرسة.

أستطيع أن أقول إنه منذ اليوم الذى قرأت فيه أن الرئيس جورج بوش الصغير طلب أن يوضع فى مكتبه بالبيت الأبيض تمثال نصفى لونستون تشرشل، واقتناعى يزداد بأن بوش فى سياساته الخارجية سيكون عنيفا فى مواجهة الشعوب الملونة والثقافات غير المسيحية. وبالفعل التزم الرئيس بوش نهج تشرشل عند تعامله مع قضايا متعددة، بل استخدم الكثير من عباراته المأثورة مثل عبارة إن حربنا حرب نبيلة، حرب من أجل المثل الأخلاقية العليا، وعبارات أخرى عن الخطر الذى يهدد الحضارة المسيحية، وعن الحرب من أجل حماية الحضارة الغربية. ما لا يعرفه الكثيرون هو أن تشرشل لم يكن متدينا ومؤمنا مثل بوش بل إنه لم يعتنق ديناً ولم يمارس أى طقوس دينية، ومع ذلك كانت إشاراته إلى الحضارة والقيم المسيحية هى الطاغية فى خطابه السياسى طيلة سنوات عمره.

كثير مما جاء فى الكتب والمقالات الصادرة حديثا فى الموجة الجديدة من موجات الاهتمام بتشرشل لم يأت بجديد بالنسبة للأجيال التى عاصرت الحرب العالمية الثانية أو تخصصت فى تاريخها واهتمت بتفاصيلها، إلا أنه جديد بالنسبة للأجيال الشابة التى قلما سمعت عن تشرشل أو قرأت عنه. فالغالبية العظمى من الشبان لا

تعرف مثلا أن تشرشل كان يكره العرب كراهية شديدة، وأنه كان صهيونى العقيدة وإن لم يكن يهوديا، وقد لا تعرف أيضا أنه مع سـ يسل رودس كانا أهم رموز الاستعمار الغربى وقادته فكرا وسياسة وحربا وتعصبا.

ومع ذلك كشفت هذه الكتابات الجديدة عن أمور لم تكن واضحة أمام أبناء جيلنا كما هى الآن. لم نكن نعرف على وجه اليقين المستوى الذى انحدر إليه مستشاروه والمحيطون به، نعرف الآن أنه كان محاطا بعناصر منحرفة أخلاقيا وسياسيا، وبعضهم كان مستهترا أو متهورا، ومنهم بروفـ يومو الذى خرج بعد ذلك من إحدى حكومات المحافظين بفضيحة هزت الحياة السياسية الإنجليزية لسنوات، وأحدثت دويا هائلا فى أوساط الاستخبارات ومكافحة التجسس فى الدول العظمى.

لم نكن نعرف بالدقة الكافية أن صعود تشرشل فى سلم السيا سة لم يكن ثابتا أو مستقرا. كان يصعد إلى مكانة عليا وبعدها تسقط مكانته إلى حد شديد التدنى، حتى قيل عن سيرته السـ ياسـ ية إنها كانت أشبه بلعبة السلم والثعبان حيث يرفع الحظ اللاعب إلى أعلى الدرجات ثم يسقطه الثعبان حتى أدناها ليعود اللاعب يجرب حظه من جديد. ففى عام ١٩٠٠ كان صيت تشرشل ذائعا ولم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره. وكان وزيرا للداخلية وعمره أربعة وثلاثون عاما، واستمر يصعد حتى عام ١٩١٥ حين ألقيت عليه تبعة ما كان يعرف وقتها بكارثة الداردانيل فابتعد عن السياسة واشتغل بالحرب كضابط صغير يقود كتيبة مشاة فى الجبهة الغربية بأوروبا. وعاد من الحرب ليصعد فى حزب المحافظين، ثم يستقيل احتجاجا على اتجاه المحافظين إلى منح الهند استقلالا ذاتيا والإفراج عن المهاتما غاندى.

وفى ١٩٣٦ عندما وقع رئيس الوزراء شامبرلين اتفاقيته الشهيرة مع حكومة برلين فى مـ يونيخ كان تشرشل يمر فى أسوأ أيام حـ ياته السـ ياسـ ية، إذ كان ينادى بالتصعـ يد مع ألمانيا ومنعها من إعادة التسلح فى وقت كان الشعب البريطانى يرفض أى دعوة تستدرجه إلى حرب عـالمية جديدة. وصدق حدس تشرشل، إذ ها هى تشيكوسلوفاكـ يا تختفى فى مارس/آذار ١٩٣٩ من خريطة أوروبا أمام زحف جنود

النازى ويدخل هتلر مدينة براج منتصرا. يومها طالبت الصحف البريطانية بعودة تشرشل، وتم تعيينه وزيرا للبحرية فى ١٩٣٩ وبعدها رئيسا للوزراء عقب غزو هتلر للنرويج. وفى يوم توليه المنصب ألقى بعبارته الشهيرة ليس لدى ما أقدمه غير الدم والعمل الشاق والعرق والدموع، وهى العبارة التى اتضح فيما بعد أنه استعارها من الزعيم الإيطالى جاريبالدى فى خطاب له موجه إلى جنوده فى عام ١٨٤٩ قائلا إنه ليس لديه ما يقدمه سوى الجوع والعطش والمعارك والموت.

يقول جون لوكاش فى كتابه بعنوان الدم والعمل الشاق والدموع والعرق: الإنذار الرهيب إن معلومات تشرشل عن أوروبا ومعرفته بكل تفاصيلها فاقت كل تصور، بينما تؤكد كتابات أخرى أن تشرشل لم يكن يهتم بثقافات أوروبا المحلية، ولم يتحدث بلغة أخرى غير الإنجليزية على عكس انطونى إيدن الذى كان يجيد الألمانية والفرنسية مثل عدد كبير من القيادات التى اشتغلت فى وزارة المستعمرات وأدارت شؤون الإمبراطورية البريطانية. واتضح أيضا أنه لم يكن يهتم بمصالح الأوروبيين وغير ملتزم بأمنهم بدليل أنه ضحى بأوروبا الشرقية حين سلمها بعد الحرب إلى روسيا السوفييتية رغم أنه دخل الحرب بذريعة تحرير تشيكوسلوفاكيا وبولندا.

ويعتقد لوكاش أن تشرشل كان أكثر شخصية مكروهة وغير موثوق بها بين رجال عصره. فقد التصقت به منذ شبابه سمعتان إحداهما أنه إنسان وصولى وانتهازى، والثانية أنه مغامر ومتهور، حتى إن الرجل الذى قام بتحرير مذكرات شامبرلين وصف وصول تشرشل إلى رئاسة الحكومة بأنه اليوم الأشد إظلاما فى التاريخ الإنجليزى.

وينقل لوكاش عن أشخاص عاشوا فترة الأربعينات اقتناعهم بأن تشرشل كان إنسانا لا يعتمد عليه ويفتقر إلى الحكمة السياسية ومخادع، ولكنه يخلص إلى أن شخصية بهذه السمات كانت مثالية للمرحلة.

وفى كتاب تشرشل وهتلر والحرب غير الضرورية يعلن باتريك بيوكانان أحد كبار الزعماء المحافظين فى الولايات المتحدة أن الحرب العالمية الثانية لم تخدم أى هدف. يقول بيوكانان إن هتلر ما كان ليظهر على الساحة الأوروبية لو لم تنشب الحرب

العالمية الأولى وتقع تسوية فرساى، فقد أنتجت تسويات ما بعد الحرب ظلما رهيبا، ويذكرنا بسياسات الرئيس بوش عندما يصف مبادئ الرئيس ويلسون بالنفاق لأنها كست فجاجة التغلب العسكرى على ألمانيا بحجاب من المبادئ الأخلاقية. ويضيف بيوكانان أن بريطانيا وفرنسا كلتيهما حصلتا على السلام الذى تريدان لتحصدا الحرب بعد عشرين عاما. تذكرت وأنا أقرأ خلاصة كلام بيوكانان التسويات الجارية حاليا فى الصراع العربى - الإسرائيلى وتأملت فى مآلاتها بعد عشرين أو ثلاثين عاما.

كان هدف تشرشل فرض الهزيمة على هتلر مهما كلف الأمر، هذه العبارة مهما كلف الأمر، وقد سمعناها خلال السنوات الأخيرة تتردد فى البيت الأبيض فى واشنطن من جانب بوش وتشينى ورامسفيلد، عبرت عن حقيقة وحشية تشرشل فى التعامل مع الألمان واليابانيين، كما عبرت عن بشاعة القصف غير الضرورى واللاأخلاقى للمدن الألمانية وقتل المدنيين، تماما كما هى تعبر الآن عن القصف ذاته للمدن والأحياء والقرى المغضوب عليها فى العراق وأفغانستان وفلسطين والصومال. كان تشرشل أول من تحدث عن استخدام الطائرات فى عمليات إبادة. ودارت عجلة الزمن ونسمع الآن هيلارى كلينتون تهدد بإبادة إيران ومحوها. الاثنان تشرشل الرجل وكلينتون المرأة نموذجان من أهم نماذج حضارة الغرب والرجل الأبيض. إنها روح تشرشل التى يهاجمها بشدة باتريك بيوكانان فى فصل فى كتابه بعنوان رجل القرن، ويعيب فيه على بوش التمثل بسياسات العنف وممارساته التى انغمس فيها تشرشل، وينتقد إعجابه بالإمبراطورية البريطانية وقادتها التاريخيين إلى حد تقليدهم الأعمى وتكرار أخطائهم.

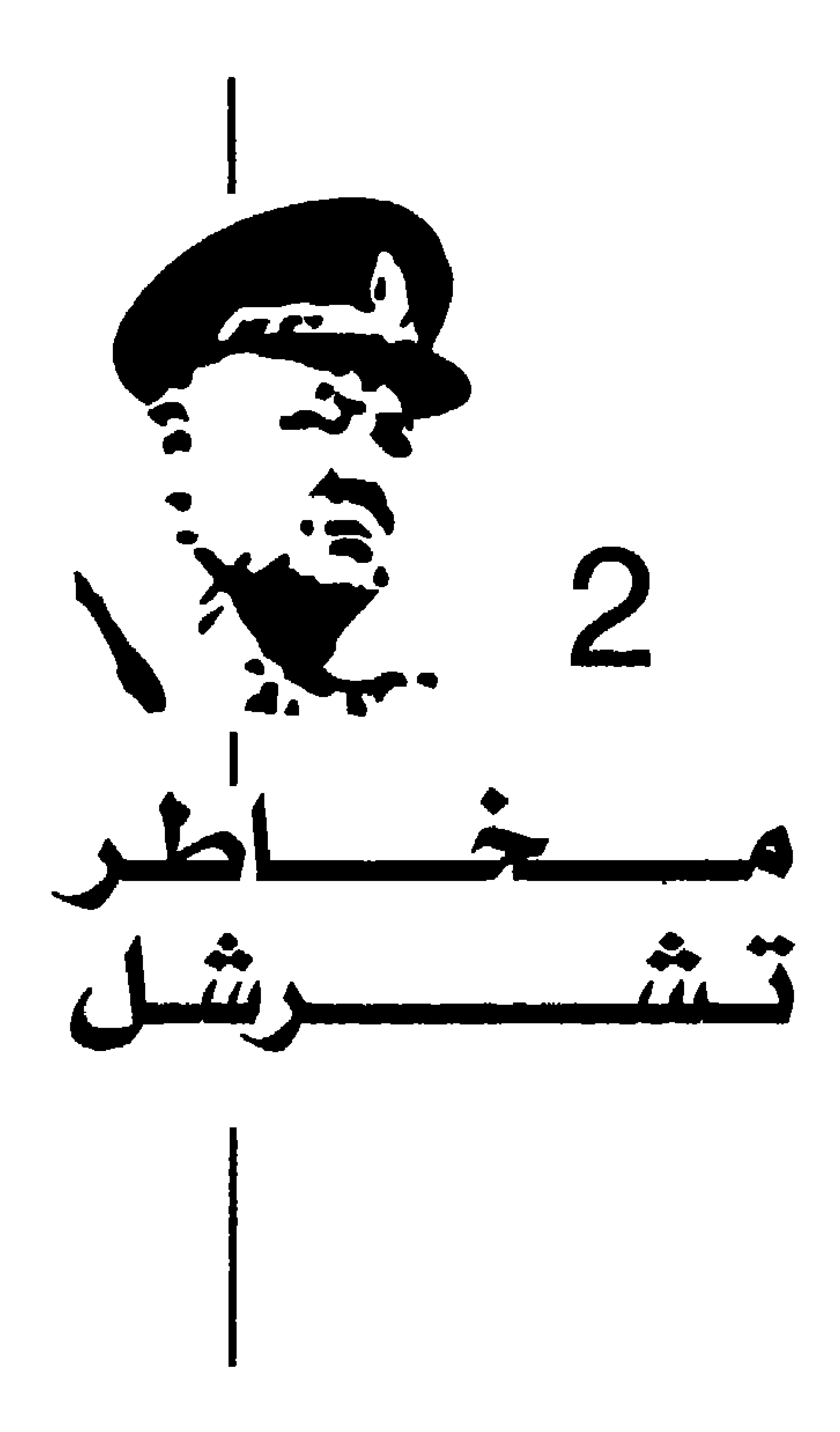
هل يكون الرئيس بوش قد أدرك حقيقة أن تشرشل أشرف على تنفيذ عملية رحيل الإمبراطورية وعقد العزم أن ينجز الرحيل بأقل الخسائر الممكنة لحضارة الرجل الأبيض وللغرب ولبريطانيا، لذلك كان إصراره أن يحارب، بقوات بريطانيا والإمبراطورية وبالقوات الأمريكية، حتى يتحقق النصر، وبعد النصر تستلم الولايات

المتحدة مسؤولية الدفاع عن الإمبراطورية الغربية، وتصبح وريثة بريطانيا وتفرض سلما أمريكيا يحل محل السلم البريطانى؟

أتصور أن العقل الإمبراطورى الأمريكى لا يتحمل التفكير فى احتمالات أن يكون مستقبل أمريكا كالمستقبل الذى توقعه تشرشل لبريطانيا واستعد له. لن يفكر بوش وأمثاله فى احتمال أن تكون الإمبراطورية الأمريكية وصلت إلى نهاية طريقها وأنه يجب الاستعداد لهذه النهاية كما فعل تشرشل، ليتسلمها من بعد أمريكا من يستحق شرف الدفاع عن حضارة الغرب ولديه القوة والعزيمة اللازمتان للقيام بهذا الدور.

قد لا يكون بوش مستعدا للتفكير فى هذا الأمر، ولكن يبدو أن كثيرين غيره يفكرون فيه، وإلا ما كان هذا الفيض المفاجئ من الكتابات عن تشرشل وعن مرحلة النهاية فى الإمبراطورية البريطانية وعصر الرجل الأبيض.

■■■



2

مخاطر تشرشل



□□

لا يمكنك تناول سيرة واحد من الشخصيات الكبيرة دونما الاعتماد على الوثائق، وعندما نتحدث عن تلك الوثائق، فلابد أن تكون هناك قناة المجد الوثائقية بريادتها فى هذا المجال، حيث قدمت فيلما مهما ومفيدا حول يوميات تشرشل جاء فيها:

قليلون هم الرجال فى تاريخ الإمبراطورية البريطانية الذين نالوا إعجاب الإنجليز عامة مثل وينستون تشرشل خلال الحرب العالمية الثانية.

منذ تكليفه رئيسًا للوزراء فى مايو، عام ألف وتسعمائة وأربعين حتى ذهابه عام ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين، ساعد تشرشل حلفاءه، وحارب أعداءه وقاد بريطانيا بحنكته.

كرئيس للوزراء نقل تشرشل مكان إقامته إلى مكاتب غرف الحرب السرية، غالبًا كان ينام هنا، من مقر القيادة السرى هنا فى وسط لندن، تحت الأرض وبعيدًا عن أعين الناس، انكبّ على الوثائق الخاصة، خطط لعمليات عسكرية سرية واعتمد مناورات سياسية سرية، فعل كل ذلك ليهزم عدوه اللدود أدولف هتلر، قبل أن يصبح رئيسًا للوزراء كان جنديًا، رسامًا، كاتبًا وسياسيًا.

ستافورد:

قال مرةً: هناك رجال نظريات ورجال عمليون، أنا بالتأكيد رجل عملى، أراد أن يقود بريطانيا إلى النصر وكان مصممًا على فعل ذلك.

المعلـــق:

لكى يهزم الألمان، حوّل تشرشل عالم الجاسوسية والمكر العسكرى السرى إلى آلة حرب منظمة، شرسة ومدمّرة، من مكتبه السرى فى الغرفة الحربية كان يدير بعض أكثر المهام السرية، تدميرًا.

استخدم معلومات سرية ليتحدى الأعداء فى المعركة، يهاجم خلف الخطوط الأمامية، ويتلاعب بحلفاء بريطانيا.

كريستوفر أندرو:

أحد أسباب اهتمام تشرشل بالمخابرات إلى هذا الحد هو أنه يجد فيها متعة كبيرة، عادة عندما يجد تشرشل شيئًا يثير اهتمامه فإنه ينغمس فيه حتى النهاية، كان الخطر من الأشياء التى أثارت اهتمامه، قال فى إحدى المناسبات: هناك القليل فقط من الأشياء المثيرة فى الحياة وعلى المرء أن يجيد الاختيار، فالخطأ وارد، أعنى هناك أنواع من الإثارة نحن بغنى هنا، لكن تشرشل كان يبحث عنها.

المعلـــق:

لكن رغم كل نجاحاته فقد واجه محطات فاشلة فى حياته المهنية الطويلة، عانى تشرشل من أخطاء فادحة مع المخابرات العسكرية التى لطالما خيّبت آمال الكثيرين، لكن وسط كل ذلك قد تعلم وتقدّم، ومع اقتراب تهديد حرب العالمية الثانية، كان جاهزا للعمل ليقود أمته إلى النصر، كان جاهزا لشن حرب علنية على الألمان.

فى بداية حياته، كان لديه أساتذة، كان والده راندولف تشرشل الذى يتحدر من نبلاء ماريبورو هو نفسه رجل حرب مشهورًا، عاش راندولف تشرشل المثير للجدل حياة مضطربة، لكنه ما لبث أن أخفق عندما قضى أعداؤه السياسيون على طموحاته، توفى راندولف، عندما كان وينستون فى العشرين من عمره، نظر إليه أمثاله من النبلاء كرجل أخفق فى الاستفادة من قدراته الكبيرة.

كان معدل تشرشل فى الدراسة متوسطا، الرجل الذى كان مقدّرا له أن يحصل على جائزة نوبل فى الآداب فى يوم من الأيام كان معدله مقبولاً فى القراءة وقواعد اللغة، لكنه كان يملك ذكاء وشغفًا بالمعرفة حتى لو كان أساتذته غير راضين عن قدراته.

جون تشارملى:

لم يدخل أيا من جامعات إنجلترا الكبيرة، لم يكن يوما تلميذ أوكسفورد أو كامبريدج، بدلاً عن ذلك التحق ب ساندهيرست لأن إمكاناته الفكرية لا تؤهله الدخول إلى الجامعة، كان يركّز على جهوده الخاصة.

المعلـــــق:

انبهار تشرشل بالحرب السرية كانت نتيجة تجربته الخاصة، فى سن الواحد والعشرين انتسب إلى الجيش، عام ألف وثمانمائة وتسعة وتسعين وبعد أن خدم فترة قصيرة فى مصر، أُرسِل تشرشل إلى جنوب أفريقيا، كان السكان يقاتلون بريطانيا من أجل الاستقلال، كان تشرشل ضابطا مفوّضًا وكذلك عضوًا فى الجهاز الإعلامى، نزل فى كايب تاون ولكى يكون قريبا من العمليات استقل القطار متوجها شمالاً خلف خطوط الأعداء.

ستافورد:

أعتقد أن هناك فصلاً واحدًا فى بداية حياة تشرشل له علاقة بإعجابه بالحروب السرية والتواجد خلف خطوط الأعداء، كان قد قبض عليه أعداؤه فتحول إلى سجين حرب، نجح آنذاك بالهروب واضطر إلى البقاء لعدة أيام كهارب خلف خطوط الأعداء.

المعلـــــق:

فى بلاده، تابعت الصحف خبر هروبه، لقد تسلق تشرشل جدران السجن، بدون خرائط، أو بوصلة، أو أى إلمام بلغة أعدائه قطع تشرشل مئات الأميال خلف خطوط الأعداء التى كانت تخضع لمراقبة شديدة، بينما نشر الأعداء صيادى الرجال فى أنحاء المنطقة، تمكن تشرشل من الهرب سرًا فى القطار خلال الليل، ما أن وصل بلاده حتى أصبح رجل الحرب الشهير.

ستافورد:

انطلاقًا من تلك التجربة كان دائمًا يشارك بخبرة عندما يتعلق الأمر بالنقاش مع العملاء السريين بموضوع خلف خطوط الأعداء، أنا كنت هناك أيضًا، كنت مرةً خلف خطوط العدو، أعرف ماذا يجرى هناك، وأعتقد أنه استمتع بذلك وحمل معه تلك الذكريات عن هروبه ومغامراته إلى تجربته اللاحقة كقائد حربى.

المعلـــق:

مغامرات تشرشل خلال الحرب جعلت منه خط يبًا مشهورا ومهدت له الطريق السـ ياسـ ية التى سلكها ليدخل إلى مجلس النواب، بعد انتخابه للمرة الأولى عام ألف وتسعمائة اشتهر تشرشل بسرعة بأنه ذلك الشخص القادر على إثارة الجدل والتهكم والقدح والذم، وسرعان ما أصبح مشهورا، انتقدته الليدى آستور مرةً على كمية الخمور التى يشربها، قالت له: لو كنت زوجى لوضعت لك السم فى مشروبك.

فأجابها قائلاً: سـ يدتى، لو كنتُ زوجك لكنت شربته فورا، فى مناسبة أخرى، علّق تشرشل قائلا على زميل له يعتقد أنه متعجرف: الآن فقط عرفت قيمة نِعَم الله علينا.

لكن كان هناك موضوع واحد فقط يشغل باله جدّ يًا، بريطانيا بحاجة إلى أمن راسخ، كان جمع المعلومات السرية بالنسبة إلى تشرشل مفتاح النجاح العسكرى.

عام ألف وتسعمائة وتسعة، عندما كان فى الخامسة والثلاثين، تم رسمـ يًا تنظيم وتفعيل الخدمات السرية البريطانية، لا أحد فى وايت هول كان منسجمًا أو مهتما بوحدة الاستخبارات العسكرية الجديدة مثل ونستون تشرشل.

ستافورد:

كان قد فكّر جديا فى استحداث ما سمى آنذاك بمكتب الخدمات السرية، وفى الواقع لدينا الآن وثائق تؤكد أنه خلال أسابيع قليلة كان تشرشل يتحدث مباشرة إلى أولئك الذين يديرون مكتب الخدمات السرية بخصوص أمور التجسس.

المعلـــق:

بحلول عام ألف وتسعمائة وأحد عشر، أكسبته خبرته السياسية موقعًا فى مجلس الوزراء، لكن خلال الحرب العالمية الأولى أدرك تشرشل إمكانيات وقدرات المعلومات السرية.

ستافورد:

عندما اندلعت الحرب، كانت بريطانيا تعمل على حلّ رموز رسائل الألمان، والرسائل البحرية، لكنهم كانوا بحاجة إلى تركيز الجهود وجمع الخبراء للعمل معًا بدوام كامل وبطريقة مكثفة.

المعلـــق:

استحدث تشرشل الغرفة أربعين، وهو مكان خاص لحل الرموز، وتنظيم ونشر الاستخبارات البحرية، أثمرت جهود تشرشل فى تحسين أداء المخابرات، لكن نادرًا ما كانت المعلومات السرية تكون مشتركة بين الجيش والبحرية، مما يقدم جوًا ملائمًا للأخطاء وإساءة الاستخدام.

أدى سوء استخدام المخابرات فى الواقع إلى أكثر خيبات أمل تشرشل فى حياته على الإطلاق، عام ألف وتسعمائة وأربعة عشر وفى وسط أكثر المعارك دموية فى الحرب العالمية الأولى، طُرحت خطة لوضع نهاية سريعة للحرب، اعتبر المخططون العسكريون أن دول البلقان كانت الباب الخلفى إلى أوروبا، اعتبرها تشرشل والآخرون منطقة ضعيفة وغير حصينة بالنسبة إلى الألمان، الحقيقة أنه قال عنها ذات يوم إنها الجزء الأضعف فى أوروبا.

كانت خطة سرية دنيئة، كانت تقضى بتسلل السفن البريطانية إلى الدردنيل الذى يفصل بين آسيا الصغرى وتركيا فضرب الساحل عند كايب هيليس وتأخذ القسطنطينية، عاصمة تركيا، لكن البريطانيين قللوا من أهمية الدفاعات البحرية

وعندما فشلت السفن الحربية فى تحقيق النصر أُرسلت الجيوش لإنهاء المهمة.

على مدار سنة كاملة، تحولت العملية إلى مستنقع، خمس سفن حربية من أصل تسع تم تدميرها على أيدى الجنود الأتراك وفقد آلاف الجنود البريطانيين حياتهم.

ستافورد:

تحولت العملية إلى حمام دم، كانت المعلومات عن سلاح تركيا وقدراتها العسكرية فى الدردنيل خاطئة جدًا ومنتهية الصلاحية، كان ذلك فى الواقع إضافة إلى أشياء أخرى، فشلاً ذريعًا جدًا للاستخبارات.

المعلـــــق:

بصفته أبرز المنظمين لتلك الخطة، هوجم تشرشل بعنف مِن قبل خصومه، وابتعد عنه العديد من المؤيدين له، باتت حياته السياسية مهددة، خيم الظلام على حياة تشرشل ولازمه عدة سنوات.

جون تشارملى:

عانى تشرشل حالة قال عنها إنها كآبة، أعتقد إننا نطلق اليوم على ذلك النوع من الحالات تسمية الاكتئاب الحاد، لم يكن يحب الاستبطان والروايات المتعلقة بالحالات النفسية والسبب يعود لكونه رجلا عمليًا، إذا بقى ساكنا لفترة طويلة من الوقت، حسب قوله، تعود إليه الكآبة وتستحوذ عليه.

المعلـــــق:

قايض تشرشل مكانه على الخط السياسى بمكان آخر على خطوط جبهة الحرب، فى سن الأربعين وبناء على رغبته، حصل على تفويض لقيادة الجنود، بعد أن شهد أعنف المعارك على الجبهة، عاد إلى موطنه متجدد النشاط، فى أوائل الثلاثينات، بدأ تشرشل بتحذير الإنجليز من تهديد الفاشّية، لكن يبقى السؤال الأهم: هل سيجد

وينستون تشرشل آذانا مصغية؟

فى فترة الثلاثينيات، وبينما كان أدولف هتلر فى بداية صعوده إلى السلطة، كان تشرشل مبعداً عن السياسة، كان يؤمن معيشته من الكتابة، لكنه كان يتوق أن يكون فى وسط الأحداث وسط المعارك.

جون تشارملى:

كانت فترة الثلاثينيات بمثابة الوقت الضائع بالنسبة لتشرشل، كانت تلك السنوات العشر الوحيدة فى القرن العشرين التى لم يتولَ فيها تشرشل أى منصب سياسى، مع حلول الثلاثينيات بدا تشرشل قديم الطراز وميالا إلى حزب اليمين المحافظ.

المعلـــق:

خلال هذه الفترة من حياته اقترف تشرشل ما صوره لاحقًا بأنه خطأ الاستخبارات السرية الفادح، لقد كشف بدقة كيف أن البريطانيين خلال الحرب العالمية الأولى حلّوا الرموز الألمانية واستخدموا المعلومات لكسب الحرب، كانت تلك غلطة فادحة نبّهت النازيين إلى تحسين مستوى الرموز السرية.

بحلول عام ألف وتسعمائة وخمسة وثلاثين، رغم أنه لا يشغل أى منصب، تحدث تشرشل أمام الناس محذرًا من تنامى القوة العسكرية الألمانية، مشيرًا إلى ضعف القوات البريطانية ومنتقدًا سياسة رئيس الوزراء تشامبرلين المتخاذلة.

ستافورد:

اعتقد العديد بأن مستقبله أصبح خلفه، وأن حياته المهنية انهارت، وأنه انتهى، لكنه أدار حملته، كانت حملة هائلة ضد التخاذل، ومن أجل تسليح بريطانيا لمواجهة هتلر.

المعلـــق:

فى منتصف الثلاثينيات كان تشرشل قد بدأ فعلا حربه السرية ضد هتلر، فاجأ كل

من يهمهم الأمر بمعلوماته الدقيقة عن إعادة تسلّح ألمانيا السريع، عدد قليل من المسؤولين الكبار علموا من أين حصل تشرشل على معلومات دقيقة كهذه عن إعادة تسلح الجيش الألمانى، الواقع كان لديه مصدر سرى رفيع المستوى فى المخابرات البريطانية، إنه صديقه الحميم والمخلص ديزموند مورتون.

نيجل ويست:

أعتقد أنكم ستقولون مباشرة إن هذا تسريب غير لائق لمعلومات قومية، كان ديزموند مورتون مقرّبا من كل القوى الألمانية المعنية آنذاك، كان لديه كل تلك المعلومات وكان يمررها مباشرة إلى تشرشل.

المعلـــق:

فى البداية تم تجاهل نداءات تشرشل، فى الثلاثينيات كانت هناك أمة مصممة على تجنب فظائع الحرب العالمية الأولى وقد نظرت إلى تشرشل كنذير حرب، لكن بينما كان هتلر يعزز ترسانته العسكرية وبينما الوحدات الألمانية بدأت بإعداد العدة بعزم نحو غزو أوروبا، بدّلت بريطانيا نهجها بسرعة، فجأة لم يعد تشرشل نذير حرب، أصبح وينستون تشرشل مطلوباً بإلحاح.

عندما غزا هتلر بولندا عام ألف وتسعمائة وتسعة وثلاثين، تحول تشرشل من تاجر حرب استغلالى إلى قائد حربى، استرجع الأدميرال الأول المنصب الذى تركه أثر فضيحة مخزية منذ عقد من الزمن، لكن هذه المرة كان هناك منصب أعلى بانتظار الرجل الذى كان أول من حذّر الإنجليز من التهديد الألمانى.

نيكولاس كال:

أعتقد أنه من الجدير بنا أن نفكر ب ونستون تشرشل كنوع من ساعة متوقفة، ساعة جيب تم إيقافها لسبب ما فى مستهل القرن العشرين، معظم فترة العشرينيات والثلاثينيات كان خارج المكان، لكن فجأة عام ألف وتسعمائة وأربعين عاد ليتابع مهماته من جديد.

المعلـــق:

فى ما يو/آيار عـام ألف وتسـعـمـائة وأربعـين أدرك الإنجلـيـز أن حـمـامـة السـلام تشامبرلين قد انتذهى ليتولى القيادة مكانه رجل الحرب تشرشل.

دعا الملك تشرشل إلى قصر باكنجهام، وحسب التقـاليد المتبعـة تم اعتمـاد قرارات حزب تشرشل بالتصويت، سـيصبح تشـرشل رئيس الوزراء القادم وقد قال لاحقا:
شعرت بأننى كنت أتنزه مع الأحداث وأن كل حياتى الماضية كانت مجرد تحضير لهذه الساعة وهذه التجربة.

حالما انتقل إلى مقـر الإقامة الرسمى لرئاسـة الوزراء عشـرة، داوننـج سـتريت واجه تشرشل أزمة بالغة الخطورة.

ستافورد:

كان مـا واجهـه تشـرشل فـى اليوم الذى أصبـح فـيه رئيسًا للوزراء كـارثيًا، لأنه فى اليوم الذى تسلم فيه رئاسة الوزراء شن الألمان هجوما واسعًا، حاشدين له عددًا كبيرًا من الجنود فى أوروبا الغربية.

المعلـــق:

واجهت بريطانيا آلة الحرب النازية بمفردها.

ستافورد:

فى ظرف أسابيع، انهزمت فرنسا، خرجت فرنسا من الحرب، كانت فرنسا بريطانيا القوية، كانت الحليفة الوحيدة.

المعلـــق:

مع تساقط القنابل فى صيف عام ألف وتسعمائة وأربعين، واجه تشرشل التحدى وحث الشعب البريطانى على الصمود.

تشرشل:

سندافع عن جزيرتنا مهما كان الثمن، سوف نقاتل على الشاطئ وعلى اليابسة، فى الشوارع، وعلى التلال، نحن لن نستسلم أبدًا، نعم سندافع عن جزيرتنا مهما كان الثمن.

المعلـــق:

سرًا، جمع مجموعة سرية من المستشارين للقتال بسلاح بريطانيا الوحيد المتوفر لديها: المعلومات السرية، تم اللقاء فى مقرٍ خارج لندن يسمى بليتشلى بارك، كان قد اشتراه قسم الشؤون الخارجية للخدمات السرية البريطانية أم أى ستة خلال الحرب العالمية الأولى.

فى بلـيتشلى بارك حاول الخبراء حلّ رموز الاتصالات الألمانية، بحلول الحرب العالمية الثانية نجحت المنظمة بقراءة العديد من رسائل الألمان التى تُبَث على الراديو، كان حلّ الرموز يتطلب جهدًا مكثفًا وحذرًا من تشرشل.

كريستوفر أندرو:

قائد حرب بريطانيا يصبح رئيسًا للوزراء فى اللحظة التى تبدأ فيها واحدة من أفضل وحدات الاستخبارات فى تاريخ الحروب نشاطاتها.

المعلـــق:

كان ستيوارت مينجز الرجل المسؤول عن تزويد تشرشل بالمعلومات الحديثة كل يوم، كان مينجز ضابط مخابرات محترفًا ورئيس ال أم أى ستة.

فى بداية الحرب عمل تشرشل ومينجز بشكل روتينى، كان مينجز يختار الرسائل المشفرة المهمة بعناية من بين العدد الكبير الذى كان يرد يوميا، يضعها فى حقيبة كبيرة ويحضرها إلى تشرشل لكى يراجعها، غالبًا ما كان تشرشل يكون فى الفراش أو فى مغطس الحمام.

جون تشارملى:

كانت علاقة تشرشل ب مينجز مميزة، كان يعتبر مينجز بمثابة الأوزة التى تبيض له بيضًا ذهبًيا، الحالات الوحيدة التى كان يختلف معه فيها كانت عندما يحاول أن يرسل له تلخيصًا عن الرسائل المشفرة، كان يريد المعلومات الخام.

المعلـــــق:

تعلّم تشرشل درسًا من سوء استخدام الاستخبارات فى الحرب العالمية الأولى، كانت غلطة لم يشأ أن يكررها.

نيجل ويست:

لم يكن تشرشل يسعد بالملخصات التى كانت تحضّرها وتعدّها وحدة الاستخبارات السرية، كان يحب التفاصيل المملة، كان يحب فعلاً رؤية النسخة الأصلية، تلك النسخة بكل عيوبها التى تنتج مباشرة عن الترجمة.

المعلـــــق:

كان دائمًا يريد التواجد وسط الحدث، كان يسافر غالبًا إلى الخطوط الأمامية لزيارة الجنود والتخطيط مع جنرالاته، لكن فى البداية اقترف تشرشل الأخطاء، المعلومات الخام كانت دائما كاللغز، أحيانًا كان تشرشل يخطئ فى فهم الصورة، فى إحدى المرات كانت المعركة فى جنوب أفريقيا عندما واجه البريطانيون الجنرال الألمانى الذى لا يعرف الكلل إيروين رومل، كان تشرشل قد استلم رسائل رومل إلى هتلر يطالبه فيها بمزيد من الدبابات فافترض أن الفرصة مناسبة للهجوم على العدو، بينما فى الواقع كان العكس هو الصحيح.

كريستوفر أندرو:

حالما قرأ رسالة الجنرال المشفرة أبرق فورًا لاثنين من قادته وقال لهم: اسمعوا، روميل يقول أنه لم يتبق لديه دبابات، هاجموا الآن، طبعا، كان رومل يعرف أن الطريقة الوحيدة للحصول على دبابات من هتلر هى أن يقول له أنه لم يتبق لديه دبابات، إن تدخل تشرشل فى ذلك النوع من التفاصيل الدقيقة لم يكن لصالحه.

المعلـــــق:

خلال مسيرة الحرب، تعلم تشرشل أن يستخدم المعلومات السرية بعناية أكبر وتعلم أن يثق بالقادة أمثال برنارد مونتجمرى لكى يستفيد قدر الإمكان من المعلومات المتوفرة بين يديه.

نيجل ويست:

إذا كنت تبحث عن مثال للمواجهات العسكرية، عن معركة أتت نتائجها مغايرة للتوقعات نتيجة استخدام ال ألترا، فلن تجد أمامك غير العلمين.

المعلـــق:

معلومات دقيقة عن مكان تواجد الألمان وعن أهدافهم المتوقعة أكسبت مونتجمرى ميزة تكتيكية مهمة.

نيجل ويست:

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اعتُبر مونتجمرى متميزاً بصفته عسكريًا استراتيجيا، الآن بتنا نعلم أنه كان فى بليتشلى بارك من يملك فكرة عن كل ما يتعلق بالأعداء فى المعركة، احتياطهم، مؤونتهم من الوقود، مواقعهم، نواياهم المستقبلية، أى قائد يدخل معركة وهو يملك كل هذه المعلومات يجب أن يقدّم عذرًا مقبولاً جدًا إذا كان سيخسر المعركة.

المعلـــق:

مع تزايد وتيرة الحرب فى الصحراء، قاتل تشرشل أيضًا فى معركة الأطلسى حيث لعب حلّ الرموز دورًا هامًا، فى أطول معركة جرت خلال الحرب تم بواسطة تحليل رموز البحرية الألمانية الغامضة تحديد مواقع الغواصات الألمانية يو- بُوت الخطرة، بدقة متناهية.

نيجل ويست:

أكثر ما كان يتمتع به خلال الحرب الدائرة كان تحقيق الاختراقات وكشف مادة معلوماتية وكأنه يعرفها سابقاً، طبعا كان ذلك بسبب الاستخبارات السرية التى كان متخصصًا فيها، لقد كان بارعًا فى عمله.

المعلـــق:

كان تشرشل يعوّل كثيرًا على المعلومات السرية التى ترد من بيلتشلى بارك ليبقى متفوقًا على أعدائه، لكن المعلومات السرية وحدها لا تكفى لكسب الحرب.

كانت بريطانيا بحاجة لمهاجمة ألمانيا بالأسلحة وليس بالكلام فقط، لكن قدراتها العسكرية لا تكفى لشّن الهجمات، كان الحل بنظر تشرشل اللجوء إلى التسلل والمكر، استحدثت بريطانيا جيشًا من المقاتلين المقاومين، دربتهم فى بريطانيا وأنزلتهم خلف خطوط الأعداء لافتعال أعمال تخريبية.

عام ألف وتسعمائة وأربعين استحدث تشرشل عمليات تنفيذية خاصة أو أس أوه إى، قام المقاتلون بنقل المعركة إلى خلف خطوط الأعداء.

مارك سايمون:

كان استحداث هذه المنظمة لزرع المقاومة داخل أراضى أوروبا المحتَلة فكرة دفاعية صائبة، مع استحداث تلك المقاومة كان يؤمل إلهاء القوات الألمانية وجعلها تنشغل بأمور أخرى غير التركيز على غزو المملكة المتحدة.

المعلـــق:

مع رحيل الشتاء وبداية الربيع عام ألف وتسعمائة وواحد وأربعين كان تشرشل يطالب بتطورات يومـية، كان على اتصال دائم بالقادة الكبار فى المعركة، فى البداية كان همّ تشرشل المحافظة على استقلال بريطانيا، بعد تحقيق ذلك أصبح الهدف هو الانتصار على ألمانيا، لكن البريطانيين لا يمكنهم تحمّل ذلك العبء وحدهم، لهذا كان على تشرشل الاستعانة بالحلفاء إضافة إلى المعلومات السرية الضرورية لتحقيق الفوز.

فى السنة الأولى من الحرب اتكأ تشرشل على المعلومات والعمليات السرية لإحباط القوات الألمانية وتحقيق النصر فى ساحة المعركة، لكن النصر الحاسم والواضح يحتاج إلى عنصر مهم آخر: استعادة أوروبا من الألمان بالقوة العسكرية، استنادًا إلى ماضى بريطانيا، أدرك تشرشل أن مسألة السرّية مطلوبة لتحقيق الهدف المرتقب.

مارك سايمون:

لا شك فى أن تشرشل استفاد الكثير من التجارب التى حدثت فى الماضى، لقد كان مؤرخًا، لذا أدرك بالتأكيد أهمية الأحلاف الكبيرة.

المعلـــق:

لتحقيق حلمه وتحرير أوروبا كان على تشرشل أن ينشىء حلفًا قويًا مع دول كبرى، لعبت المعلومات السرية دورًا خطيرًا ليس فقط فى استحداث الحلف الكبير بل فى المحافظة على تماسكه.

كان تشرشل الذى يجاهر بعدائه للشيوعية أمام خيار صعب، إما أن يتحالف مع عدو مزمن مثل جوزيف ستالين أو يقاتل ألمانيا وحيدًا، كان قراره واضحًا وسريعًا، عندما سئل عن سبب تحالفه مع دولة لطالما انتقدها وأدانها أجاب تشرشل أمام مجلس العموم: أنا مستعد للتحالف مع الشيطان فى سبيل الظفر ب هتلر.

بعد مشاركته المعلومات السرية مع روزفلت، استخدم تشرشل معلومات صادرة عن بيلتشلى بارك لتحذير ستالين من عزم هتلر على غزو الاتحاد السوفيتى.

كان الرمز السرى الألمانى للغزو كلمة بارباروسا، سرعان ما بدأ هتلر بتحريك قواته شرقا، علم محللو الرموز البريطانيون بذلك، أُرسِلت برقية عاجلة إلى ستالين تحذره من الهجوم الحاصل، المفاجئ أنه عند تلّقى تلك المعلومات عمد ستالين إلى رفضها.

مارك سايمون:

بعناد ليس له مثيل رفض ستالين التسليم بتلك المعلومات، لم يكتف برفض المعلومات التى قُدِّمت له من البريطانيين، بل رفض أيضًا المعلومات التى قدّمتها إليه وحدة استخباراته الخاصة.

المعلـــق:

لكن إذا كانت المعلومات السرية لم تفد ستالين فإنها لاقت اهتمامًا كبيرا لدى حليفة بريطانيا الحقيقية، الولايات المتحدة الأمريكية.

كريستوفر أندرو:

لقد حاول بشتى الطرق تعزيز الرباط بين بريطانيا وأمريكا، إحدى الطرق التى فكر بها حتى قبل دخول أمريكا الحرب وحتى قبل بيرل هاربر، كانت مشاركة روزفلت بأكبر سر فى تاريخ بريطانيا.

المعلـــق:

عام ألف وتسعمائة وأربعين، أخبر تشرشل روزفلت عن ألترا وهو الاسم الذى أطلق على الرموز التى تخرج من بيلتشلى بارك، تفهم روزفلت أهمية حلّ بريطانيا للرموز، لكن ما لم يعرفه أن البريطانيين كانوا يسترقون السمع على أمريكا أيضًا.

كريستوفر أندرو:

السر الكبير الذى أخفاه تشرشل عن روزفلت قبل بيرل هاربر أن بريطانيا لم تحل الرموز الألمانية فقط، بل كانت تحل أيضًا الرموز الأمريكية التى كانت أسهل بكثير، كان تشرشل ينظر إلى تلك العلاقة الخاصة بينهما بمسؤولية لذا فإن التغيير الجوهرى الذى حصل بعد بيرل هاربر، كان قرار تشرشل الذى اتخذه بعدم حل الرموز الأمريكية بعد ذلك.

المعلـــق:

من البداية كان روزفلت إلى جانب بريطانيا، لكن الانعزالية الأمريكية كانت هى السائدة، أقنعت ذكرى الآباء الضائعين المضرجين بدمائهم فى خنادق الحرب العالمية الأولى العديدين من الجيل التالى من الأمريكيين بتجنب العبث فى الشؤون الخارجية.

توماس مال:

بين عامى ألف وتسعمائة وأربعين وواحد وأربعين، كان استقلال إنجلترا على المحك، تشرشل مهتم كثيرًا بالسياسيين الأمريكيين، لأنهم سيقررون فوز أو خسارة بريطانيا فى هذه الحرب.

المعلــــق:

عام ألف وتسعمائة وأربعين، وصل عميل استخباراتى سرى بريطانى يدعى ويليام ستيفنسون إلى مدينة نيويورك، فتح مكاتب فى مركز روكفلر وعمل متخفيًا تحت اسم منظمة أسماها تنسيق الأمن البريطانى أو بى أس سى، كانت مهمة الـ «بى أس سى» تقليب رأى المجتمع الأمريكى لجانب بريطانيا، مستخدمة وسائل قذرة فقد زورت استطلاعات الرأى، تلاعبت ورشت السياسيين، وأجرت تسويات مع المعترضين على تورط أمريكا فى الحرب، علِم تشرشل بمهمة ستيفنسون فوافق عليها، عندما يتعلق الأمر بالدعاية فإن تشرشل يؤمن بأن العمل أكثر فاعلية من الكلمات.

نيكولاس كال:

كانت إستراتيجية تشرشل فى الإعلام ناجحة، المبدأ الأساسى هو اعتقاده بأن الإعلام الأفضل هو الفعل، إذا اقترح عليه أحدهم الحاجة إلى تحسين الدعاية فى أمريكا فإنه يقول: إذا هزمنا الألمان هنا، لن نحتاج إلى الدعاية أبدًا فى أمريكا، لطالما كان هدفنا هو هزيمة الألمان وإثارة إعجاب الأمريكيين بهذه الطريقة.

المعلــــق:

كان بحاجة للمخابرات السرية ليس فقط من أجل ساحة المعركة، بل من أجل التألق السياسى أيضًا.

عندما كشف تحليل رموز الاتصالات أن ألمانيا لن تغزو بريطانيا عام ألف وتسعمائة وأربعين فإن تشرشل لم ينقل هذه المعلومة إلى أصدقائه فى الولايات المتحدة.

ستافورد:

لقد احتفظ بها لأن التهديد الألمانى بغزو بريطانيا هو عنصر ضمان مؤكد لإقناع روزفلت والأمريكيين بوجوب دعم البريطانيين.

المعلــــق:

خلال الحرب دأب تشرشل أثناء أوقات فراغه على متابعة بناء بيت العائلة فى تشارت ويل، بناء الجدران لم يختلف فى جوهره عن بناء الائتلاف، كل آجرة بحاجة لتقف بعناية قرب الأخرى، بالنسبة لتشرشل يجب استدراج أمريكا بعناية إلى النزاع، كان يشعر بأن التورط الأمريكى العسكرى المباشر قد يكون ضروريًا لهزم قوى المحور.

لكن عندما زار الكونجرس الأمريكى عام ألف وتسعمائة وواحد وأربعين، خفف من طلباته وحصر حاجاته فى الدعم بطلب المعدات والسلاح فقط.

نيكولاس كال:

لقد كذب تشرشل عندما تحدث مباشرة إلى الأمريكيين، أعتقد أن كذبته الكبيرة جاءت فى أوائل عام ألف وتسعمائة وواحد وأربعين عندما قال: أعطونا الأدوات ونحن نتكفل بالباقى، قال ذلك وهو يعرف تمامًا أنه منذ سبتمبر الماضى، سبتمبر ألف وتسعمائة وواحد وأربعين، حدد مجلس الوزراء سياسته ووصل إلى قناعة محسومة وهى استحالة أن تربح بريطانيا الحرب بدون دعم عسكرى أمريكى، كل ما استطاع تشرشل فعله هو تجميد الأوضاع حتى دخول الولايات المتحدة الحرب.

المعلـــــق:

إذا كان تشرشل قد أريك الناس فقد كان مباشرًا مع فرانكلين روزفلت، قضى الرجلان ساعات طوال يتناقشان باستراتيجية الحرب، كلاهما كان جديًا، لكن كلا منهما وجد حس الدعابة والود فى صحبة الآخر.

ستافورد:

هناك قصة شهيرة تُحكى عن روزفلت الذى كان بالطبع عاجزًا وبالتالى كان مضطرًا لامتلاك سيارة ذات مواصفات خاصة، ألقى التحية على تشرشل قائلاً له: سآخذك فى نزهة، وانطلق به باتجاه التلال، وبصعوبة استطاع تجنب الطرقات الضيقة فى تلك التلال، فأطلق تشرشل مزاحًا من باب التعليق على الموقف مقارنًا الخطر الذى كان

يواجهه على الجبهة بتلك النزهة التى رافق فيها روزفلت إلى هايد بارك.

المعلـــق:

كانت السـ ياسة محورًا دائمًا فى أحاديث الرجلين، كان تشرشل يملك معلومات سرية عن العدو لكنه كان يملك أيضًا معلومات سرية عن جنرالات الحلفاء، كان دوجلاس ماك آرثر القائد الشهـ ير الذى كانت خططه العسكرية والسـ ياسية المتقلّبة مهدِدة وتنذر بالخطر.

ستافورد:

لم تكن هذه القصة معروفة تمامًا، لكن تشرشل كان معنيًا إلى أقصى الحدود بالتهديد القوى من دوجلاس ماك آرثر لأنه بالطبع كان يُشاع بأن ماك آرثر سـ يقف بالانتخابات كممثل للجمهوريين ضد روزفلت عام ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين، كان تشرشل سـ يصاب باليأس لو أبعِد روزفلت عن المشهد السـ ياسى، فى العامين ألف وتسعمائة واثنين وأربعين وألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين وضع رجلاً من قِبلِه فى قيادة ماك آرثر العسكرية، كان العميل السرى من الاستخبارات البريطانية ينقل له تقارير عن ماك آرثر، كانت معلوماته تتمحور حول توجهات ماك آرثر السـ ياسـ ية كما كان يحاول أن يساعد تشرشل على التركيز أكثر على ماك آرثر والتهديد الذى يشكّله هذا الرجل على روزفلت.

المعلـــق:

برنامج سفر مُرهِق، مؤتمرات لآخر الليل، مواقف محرجة، أثناء حلوله ضيفًا على روزفلت فى البيت الأبيض، تعرض تشرشل لأخطر عارض صحى يواجهه خلال الحرب.

ستافورد:

أحد أهم أسرار الحرب العالمية الثانية وضع تشرشل الصحى وقد بقى ذلك سرا على تشرشل نفسه، خلال زيارته الأولى إلى البيت البيض عام ألف وتسعمائة وواحد

وأربعين، شعر تشرشل بأن الغرفة حارة قليلاً فحاول أن يفتح النافذة وبينما كان يقوم بذلك تعرض لنوبة قلبية خفيفة، استدعى طبيبه الخاص اللورد موران وقال له: تشارلز، أشعر بألم بسيط فى صدرى ولا أعرف السبب، أدرك موران بسرعة أن تشرشل تعرض لنوبة قلبية خفيفة وقرر ألا يخبره بالأمر، لم يرد أن يُرعب رئيس الوزراء، لذا قال له: اجهدت نفسك كثيرًا لذلك أنصحك يا دولة الرئيس بالراحة لأيام قليلة على الأقل.

المعلـــق:

لكن تشرشل لم يأخذ راحة كافية، كان كل همه المحافظة على الحلف القائم بين بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والتركيز على هزم هتلر.

فى السنوات الأولى من الحرب كان الهدف هو البقاء أحياء أما مع دخول الحلفاء أصبح الهدف هو النصر، بحلول عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين كان الحلفاء يحضرون لمشروعهم الكبير فى الحرب، كانت المعلومات والعمليات السرية من الجوانب المهمة فى خطط الحلفاء.

عام ألف وتسعمائة وأربعين كانت الخطط جاهزة لبدء العمليات، كان الاسم الرمزى لغزو الحلفاء هو دى- داى، وقع الاختيار على الجنرال الأمريكى دوايت آيزنهاور لقيادة العملية، كان هناك شك فى إذا ما كان يقف خلف مسألة الاستخبارات البريطانية السرية.

كريستوفر اندرو:

عندما استلم آيزنهاور قيادة القوات الأمريكية فى أوروبا تم إخباره بألترا فى تشيكرز المقر الريفى لرئاسة الوزراء البريطانية من قِبَل تشرشل شخصيًا، كانت ردة فعل آيزنهاور لافتة، فى تلك اللحظة فعل شيئًا لم يتوقع أحد أن يصدر عن جنرال أمريكى وأنا أشك أن يكون أى جنرال أمريكى قد تصرف هكذا من قبل، لقد قال: أنا لست أريد مثلها فقط بل أريد أيضًا أن يكون رئيس مخابراتى ضابطا بريطانيا.

المعلـــق:

كان ونستون تشرشل يجلس وسط المخططين للغزو، لقد تعلّم تشرشل من التاريخ

ومن خبرته أهمية عنصر المفاجأة فى الحروب، كان الألمان يتوقعون أن تشن القوات الحليفة هجومها عند بادى كاليه، النقطة الأقرب بين فرنسا وبريطانيا.

جون تشارملي:

المشكلة الوحيدة التى كانت فى ذلك الغزو هو كيف السبيل إلى عنصر المفاجأة، نحن نتكلم عن تجميع جيش كبير مع معداته، كل تلك الحشود سوف تعبر القنال، هناك عدد من الأمكنة التى يمكن أن تمر فيها، هنا طبعًا يأتى دور الاستفادة من الاستخبارات السرية.

المعلـــق:

استخدامت معلومات سرية بعدة طرق لتضليل الألمان، ابتداء من بلاغات زائفة على الراديو إلى تقارير مضللة عن تحركات الجند، بالإضافة إلى تحديات السرية كان على الغزاة اعتماد تحديات تقنية أساسية إذا كانوا يريدون فعلاً مفاجأة الألمان.

جون تشارملي:

كان تشرشل رجلاً عمليًا، كان يهتم كثيرًا بالتكنولوجيا رغم أنه لا يملك أية خلفية أو خبرة علمية، من هنا كان خطؤه، الخطأ الذى اقترفه أنه فكر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين فى أن يستحدث سفنًا مزيفة تبدو وكأنها كتل جليدية عائمة.

المعلـــق:

لكن عندما كان يتعلق الأمر بغزو دى داى تتوارد الأفكار الناجحة إلى ذهنه، ساعد تشرشل شخصيًا بحلّ أكثر المشاكل تعقيدًا التى واجهها الحلفاء.

جون تشارملي:

أحد أهم المشاكل التى واجهت الحلفاء كانت كيفية تزود قوات الحلفاء بالوقود عند وصولهم إلى هناك.

المعلـــق:

الوسيلة الوحيدة كانت الناقلات، لكن الناقلات المزودة بالوقود قد تكون هدفًا سهلا

للألمان.

جون تشارملى:

الجواب لمشكلة إيجاد كميات كافية من الوقود عند وصول قوات الحلفاء، كان عند تشرشل مشروع بلوتو.

المعلــــق:

علِم تشرشل أن التقدم التقنى فى علم المعادن سهّل إمكانية استحداث أنابيب تمتد فوق القنال الانكليزى، عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين بدأ العمل على تصنيع المواد الضرورية لتنفيذ المشروع الفائق السرية المسمى بلوتو، كانت خطة جريئة لتزويد قوات الحلفاء بكميات لا متناهية من الوقود، بحيث لا يمكن استهدافها من قِبَل الألمان.

لكن الأنابيب حلّت نصف المشكلة فقط، النصف الآخر كان إيجاد مكان لإرساء السفن.

جون تشارملى:

كان الحلّ للمشكلتين عند تشرشل، فى البداية تم استحداث تلك المرافئ الاصطناعية العائمة، مرافئ ميلبورى التى تسمح بإفراغ المعدات الثقيلة، ثم استحدُثت الأنابيب تحت الماء التى تسمح بتزويد الوقود بدون أن تكون معرضة لمخاطر قنابل النازيين.

المعلــــق:

بين كل الخطط السرية، كانت الاستخبارات هى القلب النابض فى الغزو المسمى دى داى.

نجاح أو فشل العملية منوط بقدرة الحلفاء على رصد تحركات وخطط الأعداء.

كريستوفر أندرو:

ما كان نظام الخدعة لينجح وهو الذى جعل الغزو دى داى ممكنًا دون وجود ألترا التى لعبت دورا فى متابعة كيفية عمل خطة الخداع تلك، كان من المستحيل فعل كل تلك

المهام بدون قراءة رموز الشيفرة الألمانية.

المعلـــــق:

ساعدت الاستخبارات على إنقاذ بريطانيا، والواضح إنها كانت عنصرًا مهما فى التخطيط لـ «دى ـ داى»، لكن المعلومات السرية تكشفت عن مشاكل أخرى، مشاكل لا علاقة لها بأعداء بريطانيا بل مع حليفها الفرنسى شارل دى جول، دى جول الذى لم يحظ بشعبية فى فرنسا أصبح قائدا فرنسيًا يمثل المقاومة ضد المحتل الألمانى، خلال إقامته فى لندن قضى ديجول معظم وقته فى بناء قاعدة قوية بينما كان يقاتل الألمان.

جون تشارملى:

كانت علاقة تشرشل بالجنرال ديجول شبيهة إلى حد ما بعلاقة المخترع باختراعه الذى فقد السيطرة عليه.

المعلـــــق:

بحلول عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين كانت الاستخبارات الأمريكية أيضًا تتابع دى جول، لقد علموا أن طريقة دى جول فى الحصول على معلوماته السرية لم تكن مشرفة.

جون تشارملى:

من الأسرار التى أفصح عنها الأمريكيون والتى علِمت بها الاستخبارات البريطانية السرية هو وجود تقارير سرية عن التعذيب فى مقر قيادة ديغول فى شارع كينجز ستريت فى لندن، كان بعض الأشخاص يأتون من فرنسا ويدّعون أنهم رجال فرنسيون أحرار، فكانوا يُؤخذون إلى زنزانات شاركينز حيث تُمارس معهم أفعال بغيضة.

المعلـــــق:

واجه تشرشل ديجول وطلب منه الكف عن تلك الاستجوابات، تجاوب معه لفترة قصيرة، لكن خلال الحرب كان تشرشل مستاء باستمرار من تصرفات ديجول.

رغم المشاكل السياسية واللوجستية الهائلة، كان الحلفاء جاهزين لتنفيذ ذلك الغزو عام ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين، لم تكن هناك أية ضمانات بنجاح غزو دى داى، كان تشرشل قلقًا على الغزو الوشيك وقد أصّر على التواجد هناك عند ترجّل القوات.

جون تشارملى:

أراد تشـرشل الذهـاب فى يوم الغـزو المرتقب، أراد التـواجد بشكل فـعلى أثناء نزول القوات، كان مصرًا على الذهاب إلـى الشاطئ، فى الحقيقة أنا متأكد أنه كان يجد متعة فى تلك المغامرات، آخـر المحاولات لمنعه من القيام بذلك كانت بواسطة الملك عندما قال له إنه هو أيضًا يريد الذهـاب، فقـال تشرشل: لا، إن سـلامتك تهمنا كثـيرا، عندها استـغل الملك تلك النقطـة وقـال له: إذا كنت أنـا لن أذهـب وأصـر يت أنت على الذهـاب فسأبدو جبانًا، فلم يذهـب تشرشل بالتـأكيد.

المعلـــــق:

مع بدء غـزو دى داى، تابع تشـرشل عن كثب الرمـوز التى كـانت تصـدر عن بيلتـشلى بارك، كان ينتظر أية إشـارة للنجاح، كان قلقا جدًا بشأن احتمالات الفشل.

لكن تشـرشل وافق على خطة سـرية للاستـعـانة بهـا فـى حـال فشل الغـزو وطال أمد الحرب.

ستافورد:

أخـيرا تكشفت حقـيقـة تلك الخطة البـديلة، لقـد وافق تشـرشل على خطة اغـتـيال أدولف هتلر فى صيف عـام ألف وتسعمـائة وأربعة وأربعين، فـى النهـاية لم تُنفـذ تلك الخطة لعـدة أسبـاب وعـوائق مـعـقـدة، قـال بعض الأشـخـاص المناوئين للخطة فى إحدى الجلسـات: أسـوأ مـا يمكن أن نفعله هو أن نقتل هتلر لأن هتلر يقـود ألمـانيا إلى الدمـار فلمَ نتخلص من الرجل الذى سيفعل ذلك بالنيابة عنا.

المعلـــــق:

إن نجاح دى داى أكّد إمكانية هـزم ألمانيا، لقـد أثمـرت الخطط والجـهـود التى قـام بها تشـرشل، لكن مع الاطمـئنان إلى احتـواء تهـديـد هـتلر، برزت مـشـاكل جـديـدة فـى الأفق، السوفييت كانوا حلفاء، وتحولوا إلى عدو جديد.

إن نجاح دى داى فى حزيران/ يونيو، عام ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين وتزايد احتمال هزم ألمانيا سببا مشاكل جديدة ل تشرشل وروزفلت، لطالما كان تشرشل يعتبر ستالين حليفا مؤقتا، ورجلاً يستوجب أن يُخشى منه، أن يُراقَب، وإذا أمكن أن يُحبط، من جهته، كان ستالين متأكدا أن الغرب قد يدمر السوفيات إذا سنحت لهم الفرصة، كما تشرشل، عمل ستالين على جمع معلومات سرية عن أعدائه وحلفائه على السواء.

لم تعرف هواجس ستالين حدودًا، مصممًا على كشف خطة الغرب التى تستهدفه، أمر وحدة استخباراته السرية إن كى فى دى بالتحرى عن كل ما يتعلق بخطط أمريكا وبريطانيا لما بعد الحرب، فى المؤتمرات المخصصة لوضع خطط إستراتيجية عسكرية مشتركة، استغل ستالين الفرصة للتجسس.

كريستوفر أندرو:

فى كرايميا فى يالطا، كانت قصور القيصر القديمة التى تقيم فيها الوفود الأمريكية والبريطانية تعجّ بالاستخبارات الروسية، كان ستالين يُبلّغ عن كل شاردة وواردة تحصل فى كل غرفة.

جون تشارملى:

ربما كان ذلك لصالح لبريطانيا لأن كل ما سمعه ستالين والروس فى يالطا وطهران تمحور حول تصميم تشرشل على المضى قدما فى الحرب.

المعلــــق:

عندما انتهت الحرب عام ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين أصبح تشرشل متأكدا أن التحالف الذى عمل على بنائه بعناية فائقة آيل للتصدع.

جون تشارملى:

فى بداية عام ألف وتسعمائة وستة وأربعين أصبح متأكدا من شيئين: أولاً التعاون

مع السوفييت لن ينجح، وثانيًا أمريكا وبريطانيا معرضتان للتباعد، كان انعدام الثقة بالسوفييت مسألة خطيرة جدا، كان يعتقد أنها تهدد السلام العالمى، فى مارس/ آذار، عام ألف وتسعمائة وستة وأربعين فى جامعة ويستمينيستر فيلتون ميسورى، اغتنم الفرصة لا لكى يرعى التخريج فقط بل لكى يوجه بحسب رأيه إنذارا مهما إلى العالم.

المعلـــق:

كان من أهم خطاباته على الإطلاق، قدّم فيه صورًا مجازية للتعبير عن الانقسام بين الشرق والغرب.

تشرشل:

من ستيتين فى البلطيق إلى تريستى فى الأدرياتيكى تم إسدال ستارة حديدية عبر القارة، خلف ذلك الخط تقع كل عواصم ودول وسط وشرق أوروبا القديمة.

المعلـــق:

عمد ونستون تشرشل بمفرده إلى تغيير الطرق التى تدار بها الحروب، مع اعتماده الحرب السرية جعلها أكثر الأسلحة فعالية فى الحروب المستقبلية.

كريستوفر اندرو:

لم يُحسن تشرشل استخدام الاستخبارات بجدارة، لكن يظهر أنه أحسن استخدامها فى الحرب العالمية الثانية أفضل من أى سياسى آخر، فى أى بلد فى العالم، أعتقد أن ذلك يعود لسببين: أولاً كان يتمتع بخبرة طويلة، لقد كان جاسوسًا بريطانيا فى حرب الخنازير فى بداية القرن، كان عضوًا فى مجلس الوزراء عام ألف وتسعمائة وتسعة حيث استحدث وحدة الاستخبارات الخارجية البريطانية، وبصفته وزيرًا مسؤولاً عن البحرية الملكية برتبة أدميرال أول فى بداية الحرب العالمية الأولى، فقد أشرف على تجديد وحدة تفكيك الرموز البريطانية.

المعلـــق:

للمفارقة، فقد أُجبر تشرشل فى نهاية الحرب على التخلى عن منصبه، لم تتكر أمته الجميل لكنها كانت أيضًا جاهزة للتغيير، لبداية جديدة، لقد تقاعد رجل الدولة تشرشل، عاد إلى الحكم عام ألف وتسعمائة وواحد وخمسين، لكن الساعات الجميلة لا تتكرر، فى السنوات التى تلت نهاية الحرب، رجع إلى هوايته المفضلة، الرسم.

لقد استخدم تشرشل بدهاء ومكر كل ما استطاع الوصول إليه من معلومات فى سبيل تحقيق أهدافه على المستويين الوطنى والشخصى.

جون تشارملى:

إن تجربة تشرشل تقدم لنا مثالاً عن المكر فى زمن الحرب، من الصعب أن نتذكر الآن كيف كان صعبًا على القادة المدنيين الذين سبقوا تشرشل أن يضعوا الخطط فى أوقات الحرب، أعتقد أن اهتمام تشرشل الدائم بالتفاصيل وتوظيفه الحكيم للاستخبارات السرية فى الجيش بات نموذجًا يحاول العديد من القادة الغربيين أن يتمثلوا به، فى حرب الخليج، وكذلك فى حرب كوسوفا وفى كل مناسبة، كان القادة الأمريكيون والبريطانيون يحاولون التمثل بمواقف تشرشل، كان رجل يعرف ماذا يريد.

المعلـــق:

عندما انتهت الحرب تذكر تشرشل الدرس القاسى الذى تعلمه بعد الحرب العالمية الأولى عندما كتب عن نجاح بريطانيا فى حل رموز الشيفرة الألمانية، فى نهاية حياته احتفظ بالعديد من الأسرار عن الحرب العالمية الثانية وصدّق على ضرورة اعتماد



3

مذكرات تشرشل
والحرب العالمية الثانية



□□

السرّية التامة رسمـيًا مما تطلب التكتم على نشاطات الحرب السابقة، العديد من أسرار الحرب المخفية أصبح اليوم مُعلَنا على الملأ، ربما هناك أيضًا ما لم يُكتشف بعد، ربما بعضها لن يُكتشف لوقت طويل لأنها دُفنت مع الرجل الذى الذى أمر بها.

■■■

من المألوف عند كتابة المذكرات أن يبدأ المؤلف بالكتابة عن طفولته أو أسرته أو نشأته، ولكن جاءت مذكرات ونستون تشرشل عكس كل ما هو مألوف فعلى مدى أكثر من ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير يتناول تشرشل كل ما يتصل بعدوه اللدود هتلر، ومنذ الصفحة الأولى فى المذكرات التى صدرت عن دار نشر الدولية للنشر والتوزيع ترجمة إبراهيم عبد الله، وحتى آخر سطر يتحدث تشرشل عن هتلر.

فى سنة ١٩١٨ أصيب عريف ألمانى بالعمى المؤقت فى عينيه تحت تأثير أصابته بغاز الخردل، أثناء هجوم بريطانى على مقربة وكان طريح الفراش بعد الهزيمة التى حلت بألمانيا فى الحرب العالمية الأولى، وقد انتشرت الثورة فى أنحاء البلاد، وكان مولد هذا العريف لأب نمساوى مغمور من موظفى الجمارك، وكانت أحلامه فى صباه تتطلع إلى الشهرة كفنان عظيم، وقد فشل الشاب فى الالتحاق بأكاديمية الفنون فى فيننا، فعاش فقيراً ثم انتقل إلى ميونخ فزادت حياته بؤساً، وقد زاول بعض الأعمال اليدوية كالدهان والطلاء، وقد نمت فى هذا الشاب بسبب وحدته وقسوة العيش نزعات قاسية تنطوى على الحقد والكراهية نحو العالم بأسره، ذلك العالم الذى حرمه النجاح، لكن

هذه النزعات لم تقذف به إلى أحضان الشيوعية ولكن قذفت به إلى نوع من التقديس الفائق للعنصرية وإعجاب صوفى مشتعل بألمانيا والشعب الألمانى، إن هذا الشاب هو هتلر الذى خصه تشرشل بأول صفحات مذكراته.

ويورد تشرشل عدة صفات لهتلر منها أنه قد سحر رفاقه بعبقريته وعواطفه الفياضة وجاذبيته المنومة حتى قبلوا إشرافه الفعلى على الحزب، منذ ذلك الوقت أطلق عليه اسم الفوهرر، ويقول عن كتاب كفاحى الذى ألفه هتلر أن الموضوع الرئيسى لكتاب كفاحى ينم ببساطة عن رجل لا يعدو أن يكون حيواناً مقاتلاً، ثم يبدأ بسرد أحداث ما أطلق عليه السنوات العجاف من ١٩٣١-١٩٣٣ فيقول كانت الحكومة البريطانية التى أقيمت على أثر الانتخابات العامة سنة ١٩٣١ من أقوى الحكومات فى ظاهرها، ولكنها من أضعفها فى الواقع، فقد قضى مستر رمزى ماكدونالد رئيس الوزراء على علاقته بالحزب الاشتراكى الذى قضى حياته كلها فى إنشائه وأخذ يدير الأمر على رأس الحكومة فى تكاسل وبطء، وهى حكومة ائتلافية اسماً ومحافظاً فى واقع الأمر من ناحية تركيبها والسيطرة عليها، وكان مستر بلدوين لا يميل إلى مظاهر الحكم بقدر ما يميل إلى جوهره لذلك ظل يحكم من الخلف بثقة وهدوء.

أما وزارة الخارجية فقد تقلدها السير جون سيمون، وهو أحد زعماء الأحرار، أما العمل الرئيسى فى الحكم الداخلى فقد كان يقوم به المستر نوفيل تشمبرلين الذى أصبح وزيراً للمالية فيما بعد، أما حزب العمال الذى كثرت مآخذه، وانهالت عليه الحملات نتيجة فشله فى حل الأزمة الاقتصادية والذى هزم شر هزيمة فى الانتخابات فقد كان تحت قيادة زعيم مهادن هو المستر جورج لانسبورى، وفى خلال أربع سنوات ونصف كان الوضع فى القارة الأوروبية قد تبدل تماماً، ويكمل تشرشل رسم الصورة السياسية التى كانت عليها أوروبا فى تلك السنوات التى اسماها بالعجاف.

ويعود إلى ألمانيا التى يصف أنها كانت فى هياج وحاول بابن الذى خلف برونتج فى منصب المستشار، وكذلك شيلخر الجنرال السياسى أن يحكما المانيا معاً بطريق الذكاء والدسائس ولكن بعد فوات الوقت، وهنا يظهر هتلر الذى اجتمع مع المارشال

هندنبرج والذى يقول أن هندنبرج لم يتأثر بشخصيته وإنما تساءل بعد لقائه أهذا الرجل يصبح مستشاراً؟، إننى أستطيع أن أعينه مديراً للبريد ليلعق بلسانه الطوابع التى تحمل صورتى، وبعد ذلك ظهرت نتيجة لم تكن فى الحسبان، فإن هتلر قد أصبح مستشاراً لألمانيا وسيداً لها، وأصدر أوامره بالاندفاع إلى الأمام فى نطاق شامل فى معسكرات التدريب والمصانع، ولم يكن يفكر فيما يعرض عليه من عصبة الأمم المتحدة وأصدر أوامره إلى الانسحاب منها ويلقى تشرشل باللوم على الولايات المتحدة فيقول لو تدخلت الولايات المتحدة بنفوذها لدفعت الساسة البريطانيين والفرنسيين إلى العمل وكان فى وسع عصبة الأمم على الرغم من تدهورها أن تكون أداة فعالة إزاء تهديد هتلر العسكرى الجديد بما لديها من عقوبات القانون الدولى، ولكن كان الأمريكان لا يعبأون بها ويهزون أكتافهم فى غير اكتراث ولم يلبثوا بعد بضع سنوات أن وجدوا أنفسهم مضطرين إلى سفك دمائهم والتضحية بكنوز العالم حتى يتفادوا الخطر المميت.

ومن السطور القليلة التى يذكرها تشرشل عن نفسه وينسى الحديث مؤقتاً عن هتلر يقول كنت فى أوائل سنة ١٩٣١ قد أعددت نفسى للرحيل إلى الولايات المتحدة لإلقاء عدة محاضرات، وقد تعرضت هناك لحادث كاد يقضى على حياتى إذ كنت فى طريقى لزيارة برنارد باروخ، وتركت سيارتى فى الجانب المخالف، وعبرت الشارع الخامس ولم أفطن إلى أنظمة السير المخالفة السائدة فى أمريكا أو نظام الأضواء الحمراء التى لم يكن معمولاً بها فى بريطانيا فى ذلك الوقت، وعلى حين غرة وقع صدام شديد وظللت محطماً فى المستشفى شهرين ثم استعدت صحتى شيئاً فشيئاً حتى أصبحت قادراً على الزحف، وقمت وأنا على هذه الحال بجولة ألقيت فى أثنائها أربعين محاضرة فى أنحاء الولايات المتحدة، كنت بالفعل أعيش عيشة الكفاف ووصلت نشر تاريخ حياة مارليرو تباعاً فى سلسلة من الأجزاء، وكنت أفكر دائماً فى تسليح ألمانيا وفى الأوضاع التى وصلت إليها أوروبا، وأقيم فى شارتويل حيث أجد متعتى الشخصية، فقد بنيت بيدى كوخين ومطبخاً كبيراً فى الحديقة وأقمت مختلف أنواع

النواويس ومجارى المياه وحوضاً للاستحمام ترشح مياهه، ويمكن تدفئتها لسد نقص أشعة الشمس الضئيلة، وهكذا لم يتسرب إلى الكسل منذ الصباح إلى منتصف الليل، وقد أقمت فى منزلى أنا وأسرتى فى سعادة وهناء.

ويعود تشرشل إلى سيرة هتلر فيقول لم أكن أحمل فى نفسى ضغينة وطنية ضد هتلر فى ذلك الوقت وكانت معرفتى قليلة بنواياه وشخصيته، وطبيعته الإعجاب بالذين يقودون بلادهم نحو السمو عند الهزيمة حتى لو كنت فى الجانب المعادى لهم فمن حقه أن يكون ألمانياً وطنياً إذا أراد، وكنت أميل إلى أن تكون بريطانيا وفرنسا وألمانيا دولاً صديقة، وقلت ذلك أثناء حديثى مع هانجستانجل وأضفت أنه يمكننى فهم نقمة هتلر على اليهود إذا أساءوا أو أخطأوا أو يقاومهم إذا استولوا على السلطة واحتكروها لأنفسهم، ولكنى لا أفهم أن يعادى إنساناً لأنه ولد يهودياً، فهل فى وسع الإنسان أن يقرر مولده ؟!!

وعن المنظر الحالك ١٩٣٤ يقول تشرشل لم تتحمس روما لسيطرة هتلر على الحكم فى ألمانيا ولم تنظر إلى النازية إلا كصورة وحشية مشوهه للفكرة الفاشية وكانت روما على علم كامل بمطامع العهد الجديد فى قيام ألمانيا الكبرى التى تضم النمسا وأجزاء من أوروبا الجنوبية والشرقية، وقد رأى موسولينى أن مصالح إيطاليا لا تتفق مع مطامع ألمانيا الجديدة فى هذه المنطقة، ولم ينتظر الديكتاتور الإيطالى طويلاً حتى يرى نبوءته قد تحققت، وعند مقابلة موسولينى مع هتلر همس فى أذن أحد مرافقيه قائلاً لا أحب منظر هذا الرجل ورغم ذلك تأثر موسولينى بشخصية هتلر وأذهلته طريقته فى الحديث وبعد انتهاء المقابلة أطلق عليه الراهب الثرثار.

وينتقل تشرشل إلى مرحلة أخرى فى تاريخ أوروبا مرحلة فقدان التوازن الجوى عام ١٩٣٤ ١٩٣٥ فيقول لم يكن يخطر للقيادة الألمانية أنها تستطيع تنظيم جيشها وإعداده بما يفوق فى عظمته وقوته الجيش الفرنسى، وتزويده بكل ما يلزم من المعدات الحربية قبل عام ١٩٤٣، وكانت حكومة بالدوين تتسم بالجبن لذا قدمت فى

افتتاح الدورة البرلمانية عام ١٩٣٤ تعديلاً لخطاب العرش أعلنت فى أن قواتنا الدفاعية لا سيما القوة الجوية أصبحت غير كافية لضمان سلامة وحرية رعايا جلالة الملكة المخلصين، وقد قام مستر أيدن بزيارة لهتلر قبل نهاية شهر مارس وقد اعترف لهم فى حديث سجل بصورة رسمية أن قوة الطيران الجوية فى ألمانيا تبلغ حد المساواة مع سلاح الطيران البريطانى، وقد كانت للألمان فرصة لبناء البوارج لأنهم لم يكونوا طرفاً فى اتفاق واشنطن البحر أو مؤتمر لندن فى حين كانت بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا مقيدة بحد لا يزيد عن الخمسة وثلاثين ألف طن، وقد حقق هتلر انتصار دبلوماسى آخر بانشقاق إحدى دول الحلفاء بخرق نصوص معاهدة فرساى والاستفادة بالحرية المطلقة فى التسليح وكان إعلان هذا الاتفاق ضربة جديدة لعصبة الأمم وكان من حق فرنسا أن تضج بالشكوى من ضياع مصالحها الحيوية التى تأثرت من جراء هذا الاتفاق الذى تم بين بريطانيا وألمانيا لبناء الغواصات، وبذلك أصبح السلام العالمى معرضاً للضربة العنيفة الثانية وقد تلا مسألة التعادل الجوى لألمانيا تحول إيطاليا إلى جانبها وبذلك استطاع هتلر أن يسير إلى الأمام المقرر للقتال.

وقد وقع حادث لم أكن أتوقعه فقد أعلنت الحكومة البريطانية أن بريطانى تتمسك بالتزاماتها بالنسبة للمعاهدات وميثاق عصبة الأمم وسافر مستر أيدن إلى جينيف ليجمع تأييد الدول لفرض عقوبات على إيطاليا إذا هى أقدمت على غزو الحبشة، فلما واجه موسولينى هذا الموقف أعلن بياناً جافاً ينطوى على شىء من الدهاء فلم يقل أن إيطاليا ستقابل هذه العقوبات بالحرب.

ثم تقوم الحرب ويستفيض تشرشل فى وصفها فننقل من مذكراته هذا الجزء أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية وعندما أصبح رئيس وزراء بريطانيا فيقول صحوت الأحد ٢٢ يونيو استمعت إلى أخبار مشروع هتلر فى هجومه على روسيا فانتقل اليقين إلى واقع، ولم يعد أدى أى تردد فى اختيار الموفق الذى يجب علينا أن نلتزمه وطلبت من الإذاعة أن تعلن عن إذاعة خطاب لى ولحق بى الجنرال ديل حاملاً لى كل

تفاصيل الموقف لقد كان الهجوم الألمانى كبيراً فى توسعه وغلطاً فى معاملته، والواقع أن خوض روسيا الحرب أبعد غارات الألمان الجوية عن بريطانى العظمى وخفف من حدة خطر الغزو ومنحنا فرصة لأن نستعد، وللحقيقة والتاريخ يقول تشرشل أن مقاومة الروس هى التى دمرت قوة الجيش الألمانى وأصابتها بأضرار فادحة، وقد كرست طاقتى منذ الوهلة الأولى لمعاونة روسيا بالمؤن والذخيرة بالاتفاق على توجيه المعونات الأمريكية إليهم، وأحست قرينتى بأن الشعب البريطانى بدأ يتضاعف قلقه وألمه بسبب عجزنا عن إمداد روسيا بالمساعد العسكرية خاصاً أن الأشهر تمضى والقوات الألمانية تواصل تقدمها مجتازة سهول روسيا.

وفى النهاية نقرر أن هذه المذكرات جاءت جافة لرجل عسكرى خاض أصعب حروب فى العالم فلم يذكر شيئاً عنه أو زوجته أو حياته الإنسانية وإنما سرداً جاف لأحداث ووثائق كان شاهداً عليها

هل كان تشرشل يكره هتلر أم يحبه؟

تشارلى احدى بيغاوات ونستون تشرشل ستحتفل هذه السنة بذكرى ميلادها الـ١٠٤، ولا زالت تشتم ادولف هتلر والنازيين كما علمها ذلك سيدها. وقد ذكر أن تشارلى على الأرجح أقدم طائر ما زال على قيد الحياة فى بريطانيا. وفى عام ١٩٦٥ لدى وفاة رئيس الوزراء البريطانى الأسبق بطل الحرب العالمية الثانية، اشترى بيتر اورام الذى يملك مزرعة لتربية الحيوانات فى جنوب لندن الببغاء تشارلى. وقد فقد ريش تشارلى الأزرق والذهبى اللون بعض رونقه على مر السنين، لكنها احتفظت على ما يبدو بكامل وعيها. وما زالت تردد بعض التعابير التى كان يستخدمها تشرشل لشتم هتلر والنازيين وتتلفظ بها وفق التقلب المميز فى صوت تشرشل. وذكر أيضا أن هذه التعابير نفسها كانت قد أصابت العديد من الجنرالات أو الأميرالات فى تلك الحقبة بالصدمة أثناء الاجتماعات التى كانوا يعقدونها مع رئيس الوزراء فى الأزمات. وأوضحت إحدى العاملات فى متجر أدوات البستنة التابع لبيتر اورام الذى يؤوى الببغاء

منذ ١٢ عاما أن تشارلى فى الحقيقة مهملة إلى حد ما لكنها محبوبة جدا من قبل الزوار. وأضافت إننا متعلقون بها جميعا. وكان تشرشل اشترى الببغاء تشارلى فى عام ١٩٣٧ وعلمها الشتم فورا. وانضمت إلى معرض الحيوانات الغريبة الذى كان يملكه رجل الدولة حيث كانت تعيش إلى جانب الماشية ولا سيما الخراف، والخنازير وببغاوات أخرى وحتى نمر. ونقل عن الخبير لدى رئيس الوزراء الأسبق، قوله صحيح إن تشرشل لم يعد بيننا لكن روحه وكلماته فى المقاومة والعزم ما زالت حية (بفضل تشارلى).

عُلِم من وثائق السجلات المنشورة فى مطلع هذا العام، أنَّ ونستون تشرشل، رئيس الوزراء البريطانى من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٥، كان يفكر فى إعدام هتلر على الكرسى الكهربائى دون محاكمة. وفى ترك غاندى يموت إذا ما أضرب عن الطعام. وهذه الوثائق التى يرجع تاريخها إلى ما بين ١٩٤٢ و١٩٤٥، والمحفوظة فى سجلات كيو غرب لندن، هى أول دقائق مفصلة من مناقشات مكاتب الحكومة البريطانية، يتمّ نشرها. وقد أعلن تشرشل أثناء اجتماع مكتبه، فى كانون الأول ١٩٤٢، حسب ملحوظات سجلها أمين السر المساعد فى مكتبه، نورمان بروك: (تخيلوا أنَّ هتلر وقع فى أيدينا، سنعدمه بكل تأكيد). كان الشنق هو طريقة الإعدام المُتبعة فى بريطانيا، لكن يبدو أنَّ تشرشل كان يفضل الكرسى الكهربائى، حتّى إنَّه فكر، وربَّما بسخرية، فى أن يجلب واحداً من الولايات المتحدة. فقد قال تشرشل، وفقاً لما ذكر نورمان: (يمكننا، ولا شكّ، الحصول على الكرسى الكهربائى، أداة إعدام أفراد العصابات، فى إطار اتفاق ليز لند)، وهو الاتفاق الذى كان الأمريكيون يسلمون البريطانيين أسلحة بموجبه. وفى نيسان ١٩٤٥، حين كانت الحرب تشارف على نهايتها، عكف مكتب رئيس الوزراء على مسألة معرفة ما إذا كان يجب الحكم على هتلر والقادة النازيين الأساسيّين أو إعدامهم من غير محاكمة. وحسب تعبير تشرشل، فإنَّه (متفق مع من يرى فى المحاكمة مهزلةً). وأضاف مشيراً إلى ضرورة التوصل، مع ذلك، إلى اتفاق مع الحلفاء بشأن هذه النقطة: (ستظهر كل أنواع التعقيدات بمجرَّد قبولكم بمحاكمة عادلة). وقال أيضاً: (يجب إعدام

المجرمين الأساسيين بتهمة الخروج على القانون، إن لم يكن أحد الحلفاء يرغب فيهم). ومن جهة أخرى، كشفت وثائق تعود إلى كانون الثانى ١٩٤٣عن أنَّ ونستون تشرشل كان ينوى ترك غاندى يموت جوعاً فى حال أضرب عن الطعام فى سجون البريطانيين أثناء الحرب العالمية الثانية. وهذه الوثائق هى ملحوظات دوَّنها نورمان بروك، أمين السر المساعد فى مكتب تشرشل، عارضاً فيها اجتماعات مجلس الحرب. وهى تُظهر إلى أىٍّ حدٍ كان رئيس الوزراء البريطانى وحكومته مُحرجين من عمل المهاتما، الذى صار تعويذة للجماهير الهنديّة، التى ما زالت تحت هيمنة التاج البريطانى. وقد احتُجِز غاندى فى قصر الآغا خان فى بونا (ولاية ماهاراشترا) فى آب ١٩٤٢، بعد تنديده بانخراط الهند فى الصراع ضد ألمانيا النازيّة، ودعوته إلى العصيان المدنى. إلا أنَّ تشرشل وحكومته كانا يخشيان قيام غاندى الذى صار رمز النضال السلمى، وقاد الهند إلى الاستقلال عام ١٩٤٧، بإضراب عن الطعام فى السجن. وفوق ذلك كله، كانا يكرهان كل ما من شأنه أن يبدو انتصاراً لخصمهما، وفقاً لمدوَّنات نورمان بروك. وقد عبَّر تشرشل عن استعداده لترك غاندى يموت فى حال بدأ مثل هذا العمل. فقد أعلن رئيس الوزراء البريطانى فى أثناء تلك الاجتماعات: (سأبقيه هناك، وأتركه يفعل ما يشاء). وأضاف مؤكداً ضرورة أن يظهر أىّ قرار على أنَّه نصر لحكومته: (لكن إن تركتموه يخرج لأنَّه يُضرب عن الطعام، فدعوه يخرج الآن). وفى الختام، أبدى



يوميات الحرب العالمية

□□

الوزراء استعدادهم لإطلاق سراح غاندى فى حال إضرابه عن الطعام، من منطلق المبادئ الإنسانية. لكنّهم أكدوا، مع ذلك، ضرورة ألا يبدو هذا التحرير نصراً للمهاتما. وهكذا، كتب نورمان بروك فى ملحوظاته، بأسلوب يعوزه الترابط: (إنَّ المجلس صارم جداً فيما يتعلق بمبدأ إطلاق السراح فى حال الإضراب، لكنه يفضل أن يكون تحريره حركة رحمة لأنه معتقل منذ ستة أشهر وقد قمنا بضربه). لم يُحّرر غاندى إلا فى عام ١٩٤٤، بعد أن تراجعت حالته الصحية، فخشيت السلطات البريطانية أن يموت فى السجن.

■■■

التاريخ : ١٠ مايو من العام ١٩٤١.. تقطع الإذاعة البريطانية برامجها فجاة لتذيع خبرا عاجلا..

من القيادة العامة إلى جميع وحدات الدفاع الجوى : اخترقت طائرة معادية المجال الجوى متجهة نحو (جلاسجو)، ولم تتحدد هويتها حتى الآن، ولكن يجب اعتبارها طائرة على أية حال طائرة معادية. الطائرة تواجه بعض المتاعب، وعلى جميع رجال البوليس الانتباه والإبلاغ فور هبوطها مباشرة. انتهى

بالفعل حطت الطائرة المذكورة فى الريف الاسكتلندى وخرج منها الطيار سليما ليجد وجها متحفزا لفلاح بريطانى..

_نعم. انا الكابتن ألفريد هورن. معى رسالة عاجلة للورد هاميلتون.

كان لذكر اللورد هاميلتون _أحد أهم ساسة بريطانيا _مفعول السحر، فبمجرد أن أشرقت شمس اليوم التالى تم اللقاء بين الرجلين. سياسى بريطانى وطيار ألمانى فى زمن الحرب العالمية الثانية. اللقاء الذى حمل إلى اللورد هاملتون إحدى أغرب مفاجآت الحرب على الإطلاق، بدأ الطيار الألمانى الحديث بتعريف نفسه، وهو أغرب ما فى الموضوع.. سيدى اللورد أنا رودلف هيس

لندرك حجم المفاجاة التى تعرض لها اللورد يكفى أن نعلم ان هيس كان النائب الأول لهتلر والرجل الثالث فى الرايخ (الدولة الألمانية) بعد هتلر وجورنج، وكان المسؤول الأول عن وضع السياسة العامة للحزب النازى كما كان مسؤولا عن معسكرات التعذيب التابعة للجيش الألمانى. أما عن صلته الشخصية بهتلر.. فكان هيس أقرب الأصدقاء إلى هتلر، ورفيق سجنه، وهو من ساهم فى وضع الخطوط العامة لكتاب هتلر الشهير (كفاحى)، بل إن هتلر نفسه كان شاهداً على عقد زواج هيس كأحد أصدقائه.

ولم ينتظر هيس ان يفيق اللورد من المفاجأة الأولى فتبعها بالمفاجأة الأهم..

سيدى أنا رسول سلام من الفوهرر ـ يقصد هتلر ـ إنه يريد وقف الحرب

أفاق اللورد من ذهوله.. فأمر..

لابد من استدعاء مترجم فورا. لو صح ما فهمته فالأمر بالغ الخطورة. أعطي اللورد اوامره بتشديد الحراسة على (هيس) واتجه لمقابلة اهم شخصية في برطانيا فى زمن الحرب.. (ونستون تشرشل) نفسه.

لم يصدق (تشرشل) فى البداية ما جاء به اللورد هاميلتون، ثم تمالك أعصابه. أسئلة عديدة كانت تدور فى ذهنه..

فلنفترض انه (هيس) حقا.. ماذا يريد ؟، ولماذا جاء بهذه الطريقة، ولماذا لم تذع المانيا بيانا رسميا عن رحلته ؟؟

حمل اللورد تساؤلات (تشرشل) إلى (هيس) فى محبسه..

بدأ هيس عرض قضيته..

لقد جئت شخصيا كى أقنع (تشرشل) أنه لا أمل أن تفوز بريطانيا بالحرب وأنه من الحكمة البدء بمفاوضات السلام. الجيش البريطانى طرد من أوروبا كلها منذ عام كامل، وليست لديه القدرة على العودة. الغارات الألمانية على بريطانيا سوف تشتد. ستموتون جوعا

عاد اللورد إلى (تشرشل) يحمل مطالب (هيس) فى نقاط محددة..

أولا.. تسيطر ألمانيا على أوروبا كلها ومستعمراتها فى افريقيا، وفى نفس الوقت تسيطر بريطانيا على مستعمراتها وراء البحار.

ثانيا.. استقالة (تشرشل) وتعيين رئيس وزراء جديد يثق به هتلر ويستطيع التفاهم معه.

كانت مطالب (هيس) صعبة تكاد تدخل فى نطاق المستحيل ولكن بالرجوع إلى تاريخ الاحداث نجد أن بريطانيا فى مايو من العام١٩٤١ كانت فى موقف حرج. فقد سيطر هتلر على أوروبا تقريبا. بل إن الطائرات الألمانية دكت أراضى بريطانيا بأكثر من ٩٠٠ ألف طن من القنابل ليلة القبض على (هيس). وبتحالف (هتلر) مع(موسولينى) فى ايطاليا تعاظمت قوة هتلر وتضاعف الخطر النازى. لقد كان (هيس) يتحدث من موقع القوة وكان عرضه _رغم خطورته _يعرض فرصة لا تعوض لوقف نزيف الدماء فى حرب كادت ان تدمر العالم المتحضر ... فرصة تحتاج من (تشرشل) أن يتخلى عن عدائه السياسى لألمانيا وعدائه الشخصى لهتلر، ويفكر فى مستقبل وطنه.. بريطانيا.

وبينما يصارع تشرشل أفكاره كان هيس يخفى مفاجأة أخرى اتضحت بعد الزيارة بأيام ثلاثة. مفاجأة قلبت الأحداث مرة أخرى. تتضح المفاجأة فى مذكرات (هيس) الشخصية التى نشرت بعد ذلك..

كانت مبادرة فردية منى دون علم الفوهرر. كنت مقتنعا اننا سنهزم حتما لو لم نتحالف مع بريطانيا فى مواجهة الاتحاد السوفيتى، ولكن لم يكن مفيدا لهتلر أن يعلم بنيتى حفظا لماء وجه ألمانيا، فلو نجحت فى مهمتى فأنا موفد من هتلر لانهاء ويلات الحرب بين ألمانيا وبريطانيا، وإن فشلت أتحمل انا الفشل وحدى (ترجم بتصرف عن الألمانية)

وعلى الجانب الألمانى كان الموقف أيضا غامضا. لقد وصل خبر اقلاع (هيس) بالطائرة وحيدا إلى (هتلر) بعد اقلاعها بـ ٤ ساعات. كانت مفاجأة لهتلر ولكن كان عليه انتظار موقف بريطانيا من الزيارة ليتخذ قراره. مضت الأيام الثلاثة الأولى دون أخبار، وهو ما ضاعف من قلقه. فكر ...

هل سقط (هيس) فى البحر ؟. هل أسقطته مدفعية بريطانيا المضادة للطائرات؟. هل يحاول البريطانيون الآن الحصول على معلومات سرية منه

و كان الاحتمال الأكثر خطورة أن يصل الخبر الى حليفه (موسولينى) فى ايطاليا، فيتصور محاولة ألمانيا عقد صلح منفرد مع بريطانيا من وراء ظهره. الاحتمالات متعددة، والأجواء مشحونة، ولا أخبار فى الأفق. صحيح أن (هيس) رجله وصديقه ولكن ألمانيا فوق الجميع، وبعد تفكير أصدر هتلر بيانا رسميا ..

يعلن الحزب الوطنى الاشتراكى (الحزب النازى) رسميا أن عضو الحزب (رودلف هيس) كان يعانى المرض النفسى لسنوات طويلة.. الأمر الذى أدى إلى منعه من الطيران، ولكنه استطاع - مخالفا للتعليمات - حيازة طائرة والاقلاع بها إلى جهة مجهولة، ونخشى أن يكون قد وقع فريسة للهلوسة

بالبيان السابق تخلى (هتلر) عن نائبه المغامر، وكتب نفس البيان الصفحة الأخيرة فى حياة (هيس) كرجل حر. البريطانيين لن يتفاوضوا مع رجل أعلن رئيسه اختلاله عقليا، وبالتأكيد لن يسمحوا بعودة النائب الأول لهتلر إلى ألمانيا فى زمن الحرب. لقد أصبح (هيس) أسير حرب فى يد أعدائه. وفى مقابل البيان الألمانى..

صدر قرار (تشرشل)

_يعامل السيد (هيس) معاملة أسرى الحرب على أن يتبع وزارة الحربية لا وزارة الداخلية. _ يجب أن يعزل فى مكان مناسب، وتبذل الجهود لدراسة حالته العقلية وإمكانية الحصول منه على أى معلومات تفيد الامبراطورية فى حربها ضد ألمانيا. _ توفير الرعاية الصحية والكتب والغذاء وأدوات الكتابة ويحظر تماما اتصاله بالعالم الخارجى أو استقبال الضيوف إلا بتعليمات من وزارة الخارجية، وتعيين حراسة خاصة له، كما يمنع من قراءة الصحف أو متابعة الاذاعات، ويعامل معاملة كريمة كجنرال كبير فى الأسر.

لقد كان للحرب العالمية نتائجها التى أدت فى النهاية إلى إقصاء بريطانيا عن موقع القيادة للعالم الحر تاركة مركزها للقوتين المتنافستين : أمريكا والاتحاد السوفييتى، وما تبع ذلك من سلسلة أحداث شكلت فى النهاية عالمنا المعاصر.، وبالتأكيد كان (هيس) نازيا متعصبا باعترافه شخصيا، ولكنه لأيام ثلاثة كان على وشك تغيير العالم كما نعرفه ولكن الحلم فى زمن الحرب وفى مهنة السياسة له عواقبه، والإخلاص للحلم له ثمن دفعه (هيس) غاليا.

وربما تعد هذه القصة مدخلا جيدا لعالم الحرب العالمية الثانية التى كان تشرشل فى القلب منها. تشرشل كما ذكرنا أحب هتلر كما كان يكرهه، ليس هذا فحسب بل إنه كان سببا فى تخليد اسم روميل المنهزم، أكثر من اسم مونتجمرى المنتصر، بعباراته التى تفيض إعجابا بالقائد الألمانى، وتعد العلمين تلك المعركة التى قادها روميل واحدة من أشهر معارك القرن العشرين حيث وجد جيش المحور المعتاد على الهجوم نفسه فى موقع الدفاع. ولعلنا هنا نحاول أن نعطى صورة شاملة لتلك المعركة الفاصلة فى تاريخ الحرب، وربما فى التاريخ

الوضع الميدانى للطرفين قبل المعركة

- المحور:

تعوّد جيش المحور على الاندفاعات المدرعة السريعة والمفاجئة وعملياً الهجوم المتواصل، ولكنه وجد نفسه فى وضع جديد، إذ لم يعد يتمتع بغطاء جوّى كاف، وكان يعانى نقصاً فى الوقود إلى الحدود الدنيا التى تتطلبها خطوط انتشاره واتصالاته، لذلك وجد نفسه فى موضع الدفاع.

كذلك، فإن رومل قائد الجيش كان فى ألمانيا للعلاج، وكان ميزان القوى بنسبة ٢ إلى ١ لصالح مونتجمرى. كانت قوات المحور بقيادة الجنرال شتوم (٥٦ سنة) وعديدها نحو ١٠٨,٠٠٠ رجل (منهم ٥٣٠٠٠ رجل ألمانى)، ولديه نحو ٦٠٠ دبابة (منها ٣٠٠ دبابة إيطالية م١٣). هذه الدبابات عرفت باسم «الكفن ذى الارتداد الذاتى»(Self-Propelled Coffin) ، فقط ٣٨ دبابة ألمانية (مارك ٤) كانت تشكل توازناً مع دبابات الشيرمان التى كانت فى حوزة الحلفاء. أما عدد طائرات المحور فكان ٣٤٥ طائرة منها ٢١٦ ايطالية، بينما كان يتوافر للحلفاء نحو ٩٠٠ طائرة انكليزية، إضافة إلى عدد من الطائرات الأمريكية.

وكان للمحور نحو ٢٤ مدفعاً فقط من عيار ٨٨ ملم وعدد كبير من المدافع المضادة للدبابات. كانت مواقع قوات المحور الدفاعية محمية بحزام عميق من الألغام (٨ كلم عرض، و٦٠ كلم طول) وكان لديهم نحو ٢٠٠٠ رجل لكل ميل من الجبهة، وهذا لم يكن له تأثير كبير بالنسبة إلى القتال فى الصحراء.

النقص فى الوقود كان يعنى أن المدرعات ستقاتل حيث هى:

- الفرقة ٢١ بانزر والفرقة آريتى الإيطالية فى الجنوب. - الفرقة ١٥ بانزر والفرقة ليتوريو الإيطالية فى الشمال. الفرقة تريستا الإيطالية والفرقة ٩٠ الألمانية الخفيفة احتياط فى الشمال.

- الحلفاء:

ضمت قوى مونتجمرى نحو ٢٢٠,٠٠٠ رجل و١٣٥٢ دبابة من بينها ١١٩٦ فى بقعة

العمل الأمامية (Forward Area) منها ١٢٠١ دبابة كانت مستعدة للانطلاق ليلة٢٣/٢٤ تشرين الأول ,١٩٤٢كما كان لدى الانكليز ١٤٠٠ مدفع مضاد للدبابات (٥٥٠ مدفعاً ٢ رطل، و٨٥٠ مدفعاً ٦٠ رطلاً). كما كان لديهم ٨٨٤ قطعة مدفعية (٥٢ مدفعاً متوسطاً و٨٣٢ مدفع ميدان). يتبين أن الجيش الانكليزى الثامن كان يتجه إلى المعركة برجحان واضح على خصمه، فى العتاد والرجال والقيادة، خصوصاً وأن قائده (مونتجمرى) معروف بإرادته الحديدية وتفوّقه فى التكتيك.

خطط العمليات وفكرة المناورة عند مونتجمرى

«عندما تسلمت قيادة الجيش قلت إن هذا التكليف كان بهدف تدمير رومل وجيشه، وهذا ما يجب القيام به حالما نكون جاهزين، ونحن الآن جاهزون» قال مونتجمرى ذلك فى ٢٣ تشرين الأول ١٩٤٢.

كانت خطة مونتجمرى المبدئية تقوم على نقطتين:

أولاً: تدمير مدرعات رومل بسرعة.

ثانياً: التعامل مع عناصره غير المدرعة على مهل.

هذه الخطة تتطابق مع الفكر العسكرى السائد فى ذلك الوقت، ولكن مونتجمرى قرر أن يعكس هذه الطريقة ويقوم بتعديلها بعملين متزامنين:

١- احتواء سلاح العدو المدرع.

٢- التعامل مع فرق مشاة العدو، وذلك بتدميرها بطريقة منهجية فى مراكزها الدفاعية، وهذه الفرق غير المدرعة ستدمر بعمليات تفتيت متتابعة.

إن تحقيق هذه الخطة يتطلب مهاجمة العدو من الجانبين، والخلف، وقطع الإمدادات عنه بعمليات منظمة، ومخططة بعناية ودقة، من خلال سلسلة من القواعد الثابتة تكون بمتناول قواته.

وقد شرح مونتجمرى هذه الخطة واجتمع بقادة جيشه نزولاً حتى رتبة عقيد، فشدد على وضع العدو، وركز على ضعفه، وأكد أن القتال سيكون طويلاً (كقتال الكلاب) أو «قتالاً متوازناً» قد يستغرق أياماً، وقد تكون عشرة. ثم قدم تفاصيل عن قوة جيشه: دباباته، مدافعه وطائراته والإمدادات الهائلة التى بحوزته من الذخيرة وغيرها، وركز على عدم التخلّى عن روح المبادرة، وشدد على أن كل فرد، يجب أن يكون مشبعاً بالرغبة لقتل الألمان.

كيف سارت المعركة؟

بقيت الشكوك تساور أفكار قادة الفرق الثلاثة للفيلق الثلاثين: «فريبرغ» «مورشيدو» «بيانار»وقلة ثقتهم بهجوم مدرع مبكر. ففى الصحراء المفتوحة المنبسطة، من المستحيل إخفاء إشارات هجوم مقبل، ولهذا السبب قام الانكليز بوضع مخطط تمويه يجعل الألمان يعتقدون أن الهجوم سيكون على الطرف الجنوبى للجبهة من جهة الصحراء (منخفض القطارة) وقاموا بوضع أشكال دبابات ومدافع وقواعد لوجستية وخزانات نفط وأنابيب كلها خشبية ومموّهة فى هذا القطاع.

الهجوم:

ابتدأ الهجوم مساء ٢٣ تشرين الأول ١٩٤٢ الساعة ٢١،٠٤(رمايات مدفعية ٧٨٤ مدفعاً لمدة عشرين دقيقة).

بعد ذلك، وفى الساعة ٢٢،٠٧ انطلق الفيلق الثلاثون فى الشمال بهجوم مباشر لخرق الجبهة عبر ثغرتين، بينما انطلق الفيلق ١٣ من الجنوب.

أدى الهجوم المفتوح إلى بعض النجاحات المهمة.

خلال الليل، اندفع الفيلق الثلاثون فى طريقه إلى مرتفع المطيرية وكذلك حقق الفيلق ١٣ بعض التقدم، واستطاعت أحزمة الألغام (حدائق الشيطان) والمقاومة الصلبة من قوات المحور تأخيرهما.

لم تكن ردة فعل قوات المحور سريعة، فهم لم يكونوا يتوقعون هجوماً للحلفاء، ورومل كان فى ألمانيا للاستشفاء أما الجنرال شتومى الذى تسلم القيادة فلم يكن يعرف ما يجرى، ولما خرج يستطلع ذلك (وبدون حراسه) على رأس الفرقة ٩٠ الخفيفة أصيبت سيارته وهرب سائقه ووجد قرب السيارة فى اليوم التالى ميتاً بنوبة قلبية.

وبقى جيش البانزر بدون قائد طيلة هذه الفترة، ولكنه قاوم ببسالة وعناد وبالتالى لم يقم بهجوم معاكس.

بلغت المعركة ذروتها بشكل سريع ومفاجئ، حتى أن مونتجمرى لم يكن متأكداً من مدى التقدم الذى أحرزته قواته، ولكنه كان يعتقد أن الأمور تسير سيراً حسناً، وكانت المشكلة لديه هى كيف يدفع المدرعات إلى الأمام من خلال الخطوط الضيقة فى حقول الألغام.

خلال ليل٢٤/٢٥ **أكتوبر** حاول الجنرال جاتهاوس قائد الفرقة المدرعة العاشرة أن يتقدم إلى الأمام ولكنه لم يستطع ذلك بسبب الارتباك والازدحام الآلوى فى عناصر الثغرة، كما أغارت الطائرات الألمانية ودمرت نحو ٢٥ سيارة حليفة محملة بالذخيرة والوقود أثناء عبورها الثغرة، وهذا ما جعل غاتهاوس يفكر بوقف الهجوم، وقد وافقه على ذلك لمسدن قائد الفيلق العاشر المدرع.

كانت هذه اللحظة أخطر ما فى المعركة، ففيها يمكن أن تُربح أو تُخسر. ولحسن الحظ، فإن دى جينجاند رئيس أركان الجيش الثامن، أدرك ذلك واستدعى لمسدن وليز لاجتماع فورى فى القيادة العامة للجيش، وأيقظ مونتجمرى فى الساعة ٣,٠٣ صباحاً. أوضح مونتجمرى أن المخطط الأساسى يجب أن ينفذ، وقال ذلك لغاتهاوس بواسطة الهاتف. وبعد الاجتماع احتجز مونتجمرى لمسدن وانذره بأنه إن لم يقم هو وقادة فرقه بالهجوم فسيجد غيرهم ليقوم بذلك. فقد كان يدرك وبصورة واقعية ان هذه هى اللحظة الحرجة فى كل المعركة. وبالفعل، وقبل الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم ٢٥/١٠، أفيد أن أحد ألوية جاتهوس قد تجاوز بمسافة ٢٠٠٠ ياردة حقول الألغام إلى الغرب.

كذلك، فإن الفرقة النيوزيلندية تابعت طريقها وردت هجوماً معاكساً قامت به فرقة البانزر ١٥ وكبّدتها خسائر جسيمة. - فى القاطع الجنوبى من الجبهة: تقدمت الفرقة السابعة المدرعة (جرذان الصحراء) خلال حقل الألغام الأول ليلة ٤٢/٣٢ أكتوبر واستطاعت قوات المحور وقف تقدمها، ولكن مونتجمرى أراد استخدام هذه الوضعية فدعا إلى وقف الهجوم قبل أن تزداد الإصابات فى صفوفه.

- فى صباح ٢٦/١٠ فقد هجوم مونتجمرى زخمه، فالإصابات تزداد وقد أصبحت نحو ٢٠٠ دبابة خارج المعركة، ولكن الفيلق الثلاثين أحرز أكثر أهدافه. والجيش الثامن أخذ نحو ٢٠٠٠ أسير (٦٠٠ ألمانى)، وقدر أن العدو فقد نحو ٣٠,٠٠٠ من قواته و٢٥٠ دبابة ومئات المدافع، وبدت المخابرات العسكرية متفائلة جداً بالوضع، مما دفع مونتجمرى لقضاء ذلك اليوم يفكر ويخطط فى الخطوة التالية.

- فى هذه الأثناء (ليل٢٥/٢٦) عاد رومل من ألمانيا واستلم قيادة قوات المحور الميدانية من الجنرال رايتر فون توما الذى خلف الجنرال شتومى.

وجد رومل أن وضعه غير مشجع: فالفرقة ١٥ بانزر بقى لديها ٣١ دبابة فقط والوقود يكاد ينفذ والقصف الجوى والمدفعى أحدثا خسائر جسيمة جداً، بالإجمال فمعنويات قواته متدنية جداً. قرر رومل أن يرمى باحتياطه ليدفع بالقوات الانكليزية خارج مواقعه الأساسية ويستعيد التلة ٢٨ المعروفة بتلة «كدنى» (الكلية KIDNEY) مساء ٢٧/١٠ انطلق رومل بهجومه المعاكس ولكنه اصطدم بمقاومة ضارية من المدرعات والمدافع المضادة للدبابات، فأوقف الهجوم.

فكر مونتجمرى بمخطط جديد: على الجنرال لمسدن أن يندفع غرباً وشمالاً غرباً من مرتفع كدنى بينما يقوم الجنرال ليز بإعادة تنظيم قواته للهجوم المقبل.

استقدمت الفرقة السابعة المدرعة من الجنوب وسحبت الفرقة النيوزيلندية من الخطوط الأمامية.

- فى٢٩/١٠ أطلقت الفرقة الاسترالية هجوماً تضليلياً لتدفع رومل إلى استخدام

احتياطه المتبقى، واندفعت من نتوء شمال مرتفع كدنى باتجاه الشاطئ مهددة بعزل فرقة المشاة ١٦٤ الألمانية وقطع خطوطها الخلفية، وكما توقع مونتجمرى فقد رد رومل بهجوم معاكس على القوات الأسترالية بما لديه من احتياط (ضمناً الفرقة الخفيفة ٩٠ وفرقة البانزر٢١) ولكن بدون طائل يذكر أمام صمود الفرقة الاسترالية، عند ذلك فكر رومل بالانسحاب إلى فوكا (٥٠ ميلاً إلى الغرب) مع ما بقى لديه من قوات (٩٠ دبابة فقط مقابل ٨٠٠ لدى الحلفاء).

مهدت هذه العملية إلى عملية أخرى هى «سوبر شارج» (SUPER CHARGE) أو «الضربة القاضية» فى ليل ٢/١ أكتوبر ١٩٤٢، ابتدأت هذه العملية وصمد الألمان بوجهها على الرغم من تفوّق قوات الحلفاء والنقص المستمر فى قوات المحور وعتاده، مما دفع رومل إلى طلب الانسحاب إلى مواقع خلفية (حوالى ٥٠ ميلاً) من هتلر. وفى ٣ تشرين الأول، وصلت أوامر هتلر بعدم الانسحاب (النصر أو الموت) والثبات حتى آخر رجل.

قال رومل فى ما بعد، تعليقاً على أمر هتلر له بالثبات فى معركة العلمين: «إن الذى احتجنا إليه هو المدافع والطائرات والوقود، أما الذى لم نكن بحاجة إليه فهو الأوامر التى تطلب منا الثبات»

وهذا ما ساعد مونتجمرى على تدمير ما بقى من قوات المحور، ولما غيّر هتلر أمره فى اليوم التالى وسمح بالانسحاب، كان الانكليز قد أتموا عملية خرق جبهة المحور فى ٤ تشرين الثانى ١٩٤٢ (بعد ٢١ يوماً من بدء المعركة).

كان رومل يندفع بمن بقى من قواته وما بقى من دباباته ومدافعه باتجاه الغرب (بقى لديه نحو ٩٠ دبابة وبضع مئات من المدافع ونحو نصف جيش)، وبعد ذلك بدأت المطاردة الكبرى له حتى وصل إلى تونس، وفى هذه الأثناء كان الحلفاء قد بدأوا إنزالهم الكبير فى شمال افريقيا فى ٨ت٢-١٩٤٢ فى ما عرف بعملية تورش (TORCH) أى المشعل، فأصبح بين نارين.

أسباب هزيمة رومل فى معركة العلمين وشمال أفريقيا

تتمثل أبرز أسباب خسارة الألمان للمعركة بما يلي:

١- تضاؤل التموين عبر البحر المتوسط لقوات المحور إلى خمس الحاجات الاعتيادية بسبب إغراق ثلاثة أرباع سفن التموين من قبل القوة الجوية الملكية البريطانية خصوصاً المحروقات.

٢- ازدياد القوة الجوية البريطانية بالطائرات كماً ونوعاً.

٣- تضاؤل قوة المحور الجوية (بقيادة كيسلرنغ) على مسرح شمال افريقيا لحاجة هتلر لها على مسرح روسيا.

٤- عدم احتلال جزيرة مالطا من قبل المحور، والتى كانت تشكل قاعدة الحلفاء لضرب قوافل البواخر المحورية.

٥- طول خطوط التموين لقوات المحور من مرفأ طبرق حتى العلمين والبالغة ٣٣٠ ميلاً أو ٦٦٠ ميلاً من بنغازى، بينما خطوط تموين الحلفاء لا تبعد عن العلمين أكثر من ٥٥ ميلاً عن الاسكندرية و٢٠٠ ميل عن السويس.

٦- عدم تزويد روميل بما يحتاج إليه من الدبابات الجديدة أو الجنود الأكفاء لاستبدال الأعداد التى أنهكت.

٧- تدخل هتلر المباشر فى العمليات وعدم السماح بالانسحاب فى الوقت المناسب، وعدم وفائه بوعوده لرومل من احتلال مالطة وتلبية حاجاته الضرورية.

وكانت النتيجة أن تلاشى الأمل فى الاستيلاء على دلتا النيل وقناة السويس وضاع حلم هتلر فى حركة الكماشة عبر القفقاس، بأن يأتى جيش ألمانى من أوكرانيا عبر القفقاس، ويأتى جيش آخر شمالاً عبر الصحراء الغربية وقناة السويس، وذلك بهدف الاستيلاء على حقول نفط الشرق الأوسط، ثم الهجوم على الجناح الجنوبى المكشوف للاتحاد السوفياتى. وقد اعتبر فوللر أن «مصر وقناة السويس كانتا تمثلان الهدف المثالى لقوات ألمانيا المسلحة فى ذلك الوقت. ولو أن ألمانيا ألقت بكامل ثقل آلتها الحربية فى الشرق الأوسط، بدلاً من بعثرة قواتها الجوية فى أجواء انكلترا، لألحقت

ضربة قاتلة بمجموع الامبراطورية البريطانية»

وقال المارشال كايتل مستشار هتلر: «كانت العلمين من أثمن الفرص التى مررنا بالقرب منها وأضعناها» وأستطيع أن أقول إننا فى تلك المرحلة من الحرب كنا أقرب من الظفر العام مما كنا فى أى زمان أو بعدها. لم يبق علينا يومذاك إلا بذل جهد قليل لكى نفتح الاسكندرية، ونكر على قناة السويس أو فلسطين.. . «(من كتاب: رومل على أبواب الشرق، تأليف الجنرال ديزموند يونغ - منشورات مكتبة بيروت ١٩٥١ - ص٥٧).

النتائج والدروس المستقاة

اعتبرت العلمين معركة مدفعية بامتياز، غير أن ثمة دروساً أخرى تستقى منها وأبرزها:

- مركزية استعمال المدفعية، وتركيزها على نقاط محددة وفعالية المراقبة واستعمال أجهزة الاتصال (السلكية) حتى المفارز الصغيرة (معركة مدفعية بامتياز).

- دور وسائل المخابرات (الاتصالات) الرائد فى تنسيق العمل بين سرعة التدخل والجهد الكثيف. - دور نازعى الألغام فى فتح الثغرة.

- معنويات وتدريب عناصر المشاة.

- دور الطيران فى تدمير دفاعات ومدفعية المحور ومشاته ودباباته.

- دور الدبابات، ولكنه لم يصل إلى مستوى اعتبار المعركة معركة نموذجية للمدرعات.

- دور القائد، وصلابته، وذكاؤه واختيار الزمان والمكان للتدخل، ووجوده فى الطليعة.

- دور إدامة التموين لدى الحلفاء، وتأثير تقطعه لدى المحور على فقدان المبادرة.

لو ربح رومل معركة العلمين وهزم الانكليز، وتابع تقدّمه واحتل مصر وقناة السويس وطرد الانكليز والفرنسيين من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق وتابع.. . كان من

المحتمل أن يتغير مصير الشرق والعالم كما نعرفه اليوم.

كان خطأ هتلر الكبير أنه:

- حارب على مسرحين بعيدين عن بعضهما البعض فى الوقت نفسه.

- أخلّ بمبدأ نسبية الأهداف والوسائل فى كل مسرح.

- افتقد مبدأ حرية العمل.

- لم يحضّر جيشه لهذه الحرب بالطريقة المناسبة لأهدافه.

- لم يترك حرية العمل لقادة جيشه على مسارح العمليات فى الوقت المناسب.

- لم يعقد تحالفات مفيدة لتحييد أخصامه.

نتائج المعركة أسفرت المعركة عن الخسائر الآتية:

- الحلفـــــاء:

- ١٣٠٠٠ رجل. - ٢٥٠ دبابة (غير قابلة للتصليح). - ٢٥٠ دبابة (معطوبة). - ٥٠٠ مدفع. - ٢٥٠ طائرة.

- المحـــــور:

- ١٥٠٠٠ رجل. - ٣٠٠٠٠ أسير. - ٤٥٠ دبابة. - ٨٠٠ مدفع. - ٤٠٠ طائرة.

على الرغم من تفوق الحلفاء خاصة بالقوات والمدرعات والطائرات والإمدادات واستطاعتهم تدمير الفيلق الافريقى (Africa Korps) ، فإن معركة العلمين قد أنهكتهم وحرمتهم من تحقيق انتصار كاسح.

قال تشرشل: «إن معركة العلمين تشكل نقطة تحول فى التراث العسكرى البريطانى فى خلال الحرب العالمية، قبل العلمين كنا نتصارع للبقاء، أما بعد العلمين فأصبحنا ننتصر»

وقال أيضاً: «لا يمكن اعتبار معركة العلمين أنها النهاية، قد تكون بداية النهاية،

ولكنها بالتأكيد نهاية البداية«معركة العلمين كانت معركة نموذجية للمدفعية، ولم تكن كذلك بالنسبة إلى المدرعات. وهناك معركة أخرى لا تقل أهمية عن معركة العلمين، حيث تعتبر حملة (هجمة النسر) من اخطر الهجمات الجوية فى التاريخ حتى الان ولو نجحت لغيرت مصير العالم كلة المكان: سماء بريطانيا العظمى المغيمة الزمان: الحرب العالمية الثانية طبعا(اظن هذا معروف) ١٩٤٠ بعد ان استولى هتلر على بولندة لكى يسترد المناطق السليبة بعد الحرب العظمى الاولى اعلنت الدول العظمى الحرب علية وبعد ان ازاح هتلر فرنسا من طريقة والدول الاخرى التى القاها حظها الاسود امام جحافل هتلر بقيت عقبة وحيدة هى بريطانيا فقد عرض هتلر السلم عليها ولكنها رفضت بكبرياءها المعروف وقال تشرشل رئيس وزراءها ان ليس امام الشعب البريطانى سوى العرق والدموع والدم.... نعم وقد كان خطط هتلر وضع خطة جوم برمائية لغزو الجزر البريطانية اطلق عليها اسم كودى هو (اسد البحر) لكن شرط وحيد لتنفيذها هو القضاء على سلاح الجو الملكى البريطانى بواسطة سلاح الجو الالمانى (لوفتوافا) وكان لدى المانيا فى هذا الوقت ٦٥٠٠ طائرة خصص منها جورنج وزير الطيران الالمانى ٣٥٠٠ طائرة للهجوم هدف الهجوم اولا قصف المطارات والموانى كهدف اول والمصانع هدف ثانوى اما بريطانيا فقد كان لديها ٧٠٠ طائرة فقط لكن كان لديها الرادار الذى كان يمكنها من معرفة اتجاه وهدف الهجوم الالمانى مما يجعلهم يركزون الدفاع عن المناطق التى سيتم ضربها وكان لدى الالمان طائرات مميزة مثل (مشيرثمث) وقاذفات (دورنير-١٧) و(هانيكل-٣) لكن ال(مشيرثمث) تحلق فقط عدة دقائق فوق الارض البريطانية وتعود لنقص الوقود فى محركاتها ودارت المعارك قوية عنيفة ضارية وكانت خسائر الالمان مروعة والوقت يمضى والخريف يقترب بجوه وأمواجه فى القنال وهتلر غاضب وتم قرار بقصف لندن واهداف مدنية اخرى فى وقت كان الطيران البريطانى المنهك يكاد ان ينهار مع عظم خسائرة خاصة الطيارين وجاء قصف لندن عنيفا مدمرا فاصبحت لندن نارا وذاقت لندن مر القنابل طوال ٨٦ ليلة متواصلة كما لم يحدث قط فى تاريخها المجيد العريق الطويل وعبثا حاول القادة

الجويين اقناع هتلر بالعودة لضرب الطيران البريطانى الذى على وشك الانهيار لكنة رفض بصرامتة المعهودة للغا ية وطال الوقت وحدث تشتت فى اهداف الالمان وتوزع قصفهم على المدن ولندن والمصانع والموانى البحرية مما جعل القصف لا ياتى بثمارة المرجوة وجاء الخريف وفكر هتلر لما البرطان صامدون هكذا وتوصا انهم لهم امل فى دخول الروس الحرب ضد المانيا مما جعلة يهمل لحرب الجوية ويضع خطة الهجوم على روسـ يا التى ساذكرها قريبا خسرت المانيا نحو ١٧٠٠ طائرة خسرت بريطانيا نحو ٥١٠ طائرة.

ولا يمكننا أن نفوت الحرب العالمية الثانية من دون المرور على معركة بريطانيا التى كتب عنها كثيرا تشرشل فى مذكراته، والتى عبر عن تأثره الشديد بها:

معركة بريطانيا

اول غصة وقفت فى حلق ادولف هتلر. المعركة التى اظهرت فـ يها المانـ يا سلاحها الجديد (اللوفتواف) او القوات الجوية الالمانية. كل جـ يش به قوات جوية. فبالطبع تتسائلون ما الذى جعل اللوفتواف سلاحا جديدا اللوفتواف باختصار اشتهرت بمهارتها وليست بكثرتها فالطيار الالمانى كان امهر طيارى الحرب العالمية الثا نية. اما اذا تكلمت عن الكثرة فكان هناك الجوية الملكية والامريكية. ولكن بالرغم من كثرتهم كان يصعب عليهم مواجهة مجموعه ولو قليله من اللوفتواف. وغالبا ماكانوا يتجنبوها. فى ملفات اللوفتواف يذكر ان احد طياريها (مانفريد فون ريتشسوفين)الذى استطاع وحده ان يسقط ٢٠ طائرة من الجوية الملكية وتدمير قاعدتى رادار على ساحل القنال الانجليزى. لقب مانفريد بالبارون الاحمر او الدموى نسبه الى عدد الطائرات التى اسقطها من قوات الحلفاء. انتهى به الحال باسقاط طائرته على احدى قواعد الحلفاء فى فرنسا عام ١٩٤٤ انتقاما لاصدقائه الذين استطاع الحلفاء اسقاطهم فى معركة سابقه. يرجع تأسيس اللفوتواف الى عام ١٩١٠. قائده فى الحرب العالمية الثانية التى لم يسبق لاحد ان قاده مثله هو هيرمان جورينج او الاب الروحى كما سماه هتلر. تخرج

من تحت يده افضل طيارى الحرب العالميه الثانيه. لذا فان اللوفتواف او القوات الجويه الألمانية هى السلاح الوحيد بعد سلاح الغواصات الالمانى الذى خرج منتصرا من قوات المحور فى الحرب العالمية الثانية. هذه كانت نبذة مختصرة عن هذا السلاح. واترككم الان مع معركة بريطانيا.

الزمـــــان

من يوليو ١٩٤٠ الى اكتوبر ١٩٤٠

المكـــــان

المملكه المتحدة وبالتحديد فى الجنوب على ساحل القنال الانجليزى.

الاطــراف

القوات الجوية الألمانية (اللوفتواف) /// القوات الجويه الملكيه (الانجليزية)

القـــادة

فى الجانب الالمانى : هيرمان جورينجفى الجانب الانجليزى: هيودج ديودينج

قوة الطرفين

الطرف الالمانى:١٥٧٠ طائره قاذفه + ١١٠٠ طائره مقاتله. الطرف الانجليزى:٧٠٠ مقاتله فى البدايه فقط ولكن حليفات انجلترا ارسلوا اليها ما يقرب من ألفى طائرة أخرى.

الخسائر

عند الطرف الالمانى:١٨٨٧ طائره (قاذفات + مقاتلات)عند الطرف الإنجليزى :١٢٠٠ مقاتله بالاضافه الى تدمير بعض مصانع الطائرات ٢٨ ألف قتيل و٣٢ ألف جريح -----(مدنيين).

النتيجة

لم يكن النصر حليف اى من الطرفين ففشلت اللوفتواف دخول انجلترا فى الوقت

المحدد. ولم تنجح انجلترا فى صد هجوم اللوفتواف.

الأحداث

بعد فتح فرنسا. اعد الالمان خطه لدخول انجلترا اطلقوا عليها خطه اسد البحار (SEA LION). وسلمت قياده ٢٩ فرقه الى الجنرال فون رونشتد. لكن كان عليهم أولاً هزيمة القوات الجوية الملكية. قبل دخول انجلترا. حصل الالمان على مـيزة العمل فى المطارات الامامية للدول التى قامت باحتلالها مثل فرنسا وبلجيكا وهولندا. على الجانب الاخر تمثلت الجوية الملكية فى ٧٠٠ طائرة مقاتلة من طراز (Spitfire) مشكلة فى ٥٩ سريا. وتتمـيز هذه المقاتلات بقوة تسليحها وقوة دروعها. لعبت اجهزة الرادار التى وضعت على ساحل القنال الانجليزى دورا هاما فى التصدى لطائرات اللوفتواف. حيث كانت تقوم بتحديد اعدادها وسرعتها واتجاهها. كان هتلر يمتلك نفس هذه الرادارات ولكن لم يتسن له الوقت لوضعها فى بعض الاماكن التى فتحها مؤخرا. استمرت المعارك بين الجانبين بشدة وانقسمت الى مراحل ثلاث:

١- من ١٠ يوليو الى ١٢ اغسطس١٩٤٠ والتى ركزت فـيها اللوفتواف على ضرب السفن والموانىء والقواعد البحرية.

٢ ـ من ١٣ اغسطس الى ٦ سبتمبر وتركزت فى قصف المطارات ومراكز الصناعة وسط انجلترا.

٣ ـ من ٧ سبتمبر الى ١٥ اكتوبر وتركزت على قصف لندن ولكن بدون قصف الاماكن الاثرية. كانت الالمان يتبعون اسلوب حلابهم الخاطفة حتى فى الجو. فأدخلوا طريقه البليتز او الغارات الخاطفة. ولعل اشهر غارات البليتز كان على مدينه لندن فى ٧ سبتمبر ١٩٤٠ عندما اغارت عليها ٦٠٠ مقاتلة المانية.

استراتيجية اللوفتواف

كانت استراتيجـية اللوفتواف تعتمد على ضرب المناطق المدنيه. لكى تقل روحهم المعنويه. مما يجبر بريطانيا على الاستسلام. ولكنهم فشلوا فى ذلك. فكثفوا عليهم

الغارات حتى اصبحت غاره او غارتين يومـ يا. ولكنهم فشلوا ايضا. تعبت الجويه الملكيه من هذا الصراع. وكذلك اللوفتواف فبدأ كل منهم بتقليل غاراته. حتى توقفت تماما.

اسباب ايقاف اللوفتواف لغاراتهم على انجلترا

يرجع السبب فى هذا الى مايلى:

١- ملاحظة انخفاض الروح المعنوية للطيارين غير القادرين على تدمير المقاتلات الإنجليزية ذات الدروع القوية.

٢ ـ انتهاء الوقت المحدد لفتح انجلترا. لذلك قرر هتلر تركها للاهتمام بشرق أوروبا.

٣ ـ اجتمع خبراء الاثار والمؤرخين فى مؤتمر دولى دعوا فيه هتلر الى عدم تدمير الآثار التى تعبر عن حضارات الامم. فاستجاب لهم هتلر. (لم تكن استجابة هتلر هو إحساسه بالهزيمه ولكن بطبيعه هتلر فهو هاو للفنون فقد كانت هوايته الاولى هى الرسم بالاضافة الى ان مثله الاعلى كان فريديريك نتشى وهو احد الفلاسفه العظام فى العصر الحديث). بعد ذلك اتخذ تشرشل قرارا بتعويض كل مواطن اصيب فى ممتلكاته الخاصة بفعل غارات البليتز الالمانية. فى اكتوبر ١٩٤٠ اشاد ونستون تشرشل بأداء وتضحيات رجال الجوية الملكية فى معركه بريطانيا. وقال عبارته الشهيرة:

(Never in the field of humn conflict, w.s so mush owed, by so few. Brit.in h.d stood .lone, Brit.in h.d won)

لم يحدث ابدا فى تاريخ الصراع البشرى، ان حملت ارض المعركه كل هذا القدر من الناس، و كل هذا الكم من العرفان بالفضل. ان بريطانيا قد وقفت وحدها. بالرغم من ذلك فان بريطانيا قد انتصرت)

بعد الحرب

اجتمع الساسة الإنجليز بمهندس السياسة البريطانية السير ونستون تشرشل بعيد

الحرب العالمية الثانية تتآكلهم هواجس شتى عما وصلت إليه الحال فى الإمبراطورية التى لم تكن تغب عنها الشمس ؛ ملايين القتلى واقتصاد منهك وبنية تحتية مدمرة ومآس اجتماعية وإنسانية أدت لشلل فى مفاصل الحياة المدنية ؛ وطالبوا السير تشرشل النصح والرأى السديد فأجابهم إنه مستعد لإعطاء الجواب الشافى شرط إجابتهم عن تساؤلين بكل صدق : - ميزان العدل وكيفية تطبيق القانون - ميزان العلم وواقع حاله ومستوى التعليم والتدريس أجابه الساسة المتألمون على حال إمبراطوريتهم: العدل والقانون فى إنجلترا مشهود له من العدو قبل الصديق فالقضاة الإنجليز يُختارون بدقة متناهية من أصحاب الكفاءات النادرة علميا وأخلاقيا ويملكون شيكا مفتوحا يأنفون به عن الرشوة ويحكمون بما يمليه عليهم ضميرهم القانونى والمهنى والأخلاقى. كذلك الحال مع ميزان العلم فالعلم متاح للجميع بدون تمييز (فليس هناك من هو بحاجة لموافقة الأمن السياسى لدخول المدارس والجامعات كما هو حال الكورد المجردين من الجنسية فى سوريا) وأن الطالب الإنجليزى ينال حقه فى مجالات العلم حسب تفوقه وليس هناك استثناءات أومحسوبيات أبدا ولايمكن لابن الملكة الدراسة فى الكلية الملكية البريطانية إذا لم يكن مستوفيا لشروطها. أطلق السير تشرشل نفسا عميقا من سيجاره الشهير مبتسما وقال : ستعود المملكة المتحدة كما كانت بل وأقوى. وهاهى المملكة المتحدة بعد أكثر من نصف قرن أكثر قوة ومنعة وامتلاكا لاسباب الحضارة والتقدم والتطور على كافة الأصعدة. نستنتج مما سبق أن سيادة القانون والعدل واستقلال القضاء وانتفاء المحسوبيات ؛ وإتاحة فرص التعلم والدراسة للجميع مع تأمين مستلزماتها من مدارس وكوادرومناهج مواكِبة للعصر والبعد عن كل الإستثناءات والتدخلات من أى جهة كانت فى سياسة التعليم ؛ سيوصل الأمة إلى بلوغ الركب الحضارى والتقدم والمنعة والرفاهية وبالتالى إلى قمة ما تطمح له الحضارة الإنسانية.

هل كانت الحرب العالمية الثانية غير ضرورية؟

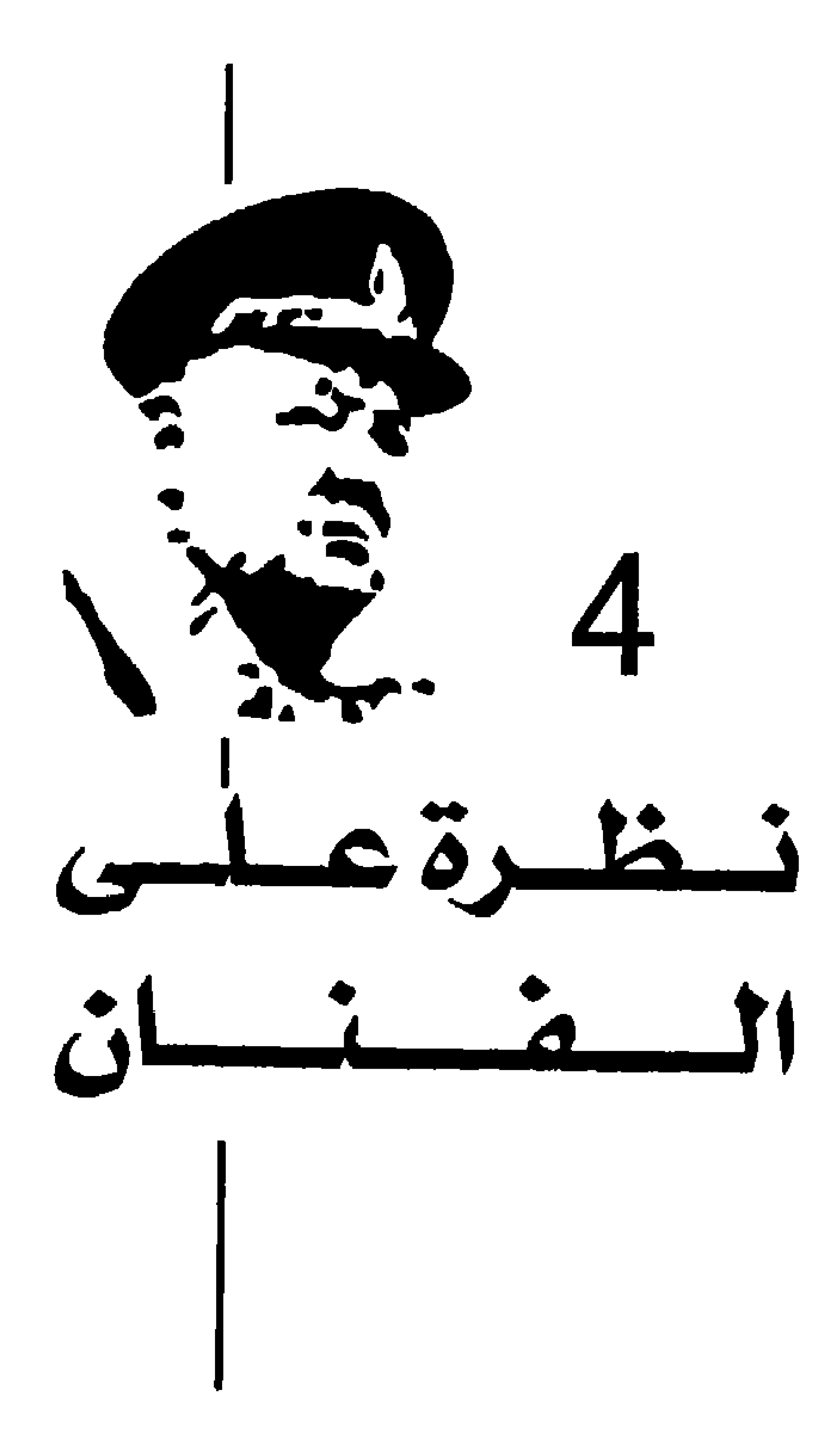
يوثق باتريك جى بوكانان فى كتاب جديد سيغضب المحافظين الجدد الذين

يحتلون الحزب الجمهورى، كيف أدى الضلال والغرور والتعجرف البريطانى الى سقوط الامبراطورية البريطانية والهيمنة الغربية فى حربين غير ضروريتين.. . شُنتا من قبل عصبة صغيرة من الأغبياء، الذين حكموا بريطانيا. يظهر كتاب «تشرشل وهتلر والحرب غير الضرورية.. كيف خسرت بريطانيا امبراطوريتها، والغرب خسر العالم «ان الحربين العالميتين اللتين دمرتا الحضارة الأوروبية بدأتا عندما أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا، وبالتالى جرّ الامبراطورية والكومنولوث والولايات المتحدة إليها..

ذلك كان خطأ استراتيجياً لا مثيل له فى التاريخ، خرجت بريطانيا القوية من الحرب العالمية الثانية مجردَ تابع لأمريكا بعدما كانت امبراطوريةً. يورد بوكانان أن شخصيات بريطانية بارزة مثل إف جيه بى فاليو، وبى إتش ليدل هارت، وسى بى سنو توثق أن ونستون تشرشل هو أول من ارتكب، بعبارات فيلى، «أول خرق متعمد للقاعدة الأساسية فى حرب الرفاه المتحضرة إن حروب الأعمال العدائية، يجب ان تُشنّ ضد القوات المحاربة للعدو»لقد كان تشرشل وليس هتلر أول من استهدف السكان المدنيين فى الحرب العالمية الثانية وتسبب بانهيار بنية حروب الرفاه المتحضرة. تبنت الولايات المتحدة بسرعة سياسة تشرشل الإجرامية المتمثلة بمهاجمة المدنيين، والتى بلغت ذروتها فى استخدام الأسلحة النووية ضد مدينتين يابانيتين، ومجازر ضد مدنيى فيتنام، والمجازر المستمرة للمدنيين فى أفغانستان والعراق. هناك أسطورة أمريكية شعبية تقول: إن «أعظم جيل» أنقذ العالم من الطغيان النازى، وحقيقة الأمر كما أشار- بوكانان-، هى ان غزو النورماندى فى حزيران عام ١٩٤٤ لعب دوراً بسيطاً، إن وجد، فى هزيمة ألمانيا، ذلك أن هتلر خسر الحرب العالمية الثانية فى ستالينجراد فى نهاية عام ١٩٤٢، قبل ان تظهر أية قوات أمريكية بوقت طويل فى المشهد وكل ما حققه غزو النورماندى بعد ١٨ شهراً هو منع الجيش الأحمر من اجتياح كل أوروبا. وعلى الرغم من ان كتاب بوكانان وعن كيفية تدمير البريطانيين لأنفسهم، لكن بوكانان يفكر بوضوح حول أمريكا والسياسة التى تنتهجها، يظهر بوكانان فى الصفحات الختامية للكتاب.. . كيف ان نظام بوش أخذ يكرر الحماقات البريطانية

بتدمير الذات، ويرثى بوكانان لهذه الحال بالقول: «لا يكاد توجد أية حماقة ارتكبتها الامبراطورية البريطانية لم نقم بتكريرها» إن الغرور الأمريكى المنظور على أننا «الأمة التى لا يُستغنى عنها» وعلى التبجح والتباهى بقوتنا المطلقة جعلانا غير قادرين على الوفاء بالتزامات لا يمكن لنا تحقيقها.. على الرغم من ان ٢٥ فى المئة من الشعب العراقى قُتلوا وجُرحوا وشُردوا، ليس بمقدور القوة العظمى الوحيدة فى العالم السيطرة حتى على بغداد، للتعامل مع الحرب التافهة التى بدأناها فى أفغانستان، يجب علينا القيام بخداع حلفائنا فى الناتو فى نزاع لا يشكل أى قلق بالنسبة لهم.. . ورغم الإرهاق العسكرى والاقتصاد المترنح والعملة المنهارة لا تزال تأمل زمرة الحمقى التى تحكم أمريكا بمهاجمة إيران وإخراج حزب الله من لبنان، الأغبياء الأمريكيون فى صهاريج التفكير منشغلون بالعمل فى رسم الخطط.. . وكيف أن الولايات المتحدة ستوقف الصين وتمنعها من البروز كقوة خارجة عن السيطرة الأمريكية، والمرشح الجمهورى للرئاسة يفاخر بأنه سيتحدى روسيا ويرغم بوتين على الخضوع. مدهش سيتولى المدين الأكبر فى العالم البلدين القويين واللذين يملكان الفائض التجارى الأكبر، فوفقاً لموقع World Fctbook وهى نشرة سنوية /للسى أى إيه/ فإن الفائض الروسى الحالى لعام ٢٠٠٧ هو ٤٦٥ مليارَ دولار، وللصين ٣٦٣ مليارَ دولار، وعلى النقيض من ذلك.. . فإن العجز بالحساب الجارى الأمريكى هو ٩٨٧ مليار دولار، وهو مبلغ أكبر من العجوزات الإجمالية لكل الدول الأخرى فى العالم مجتمعةً، والخسائر والكلف المستقبلية التى سببتها حروب بوش العدوانية هى بين ٣و٥ تريليونات دولار، وكل دولار منها يجب ان يتم استقراضه، وظهر ذلك فى عجوزات التمويل للإدارة الأمريكية بإجمالى ٥٣ تريليونَ دولار. بأى معيار تُعد الولايات المتحدة أخطر مكان للائتمان فى العالم، إذ تعتمد الولايات المتحدة القوية على الأجانب لتمويل استهلاكها وحروبها والعمليات اليومية لادارتها. فقد بوكانان الأمل عندما نظر الى مجموعة الحمقى التى تضم الطبقة الحاكمة لأمريكا، وفى الحقيقة.. . فإن القوة الأمريكية محطمة مسبقاً وضاع البلد مسبقاً.. البلد ضاع، لأن العنصريين فى نظام بوش دمّروا

الدستور الأمريكى بتواطؤ حزب المعارضة والمحاكم الفيدرالية، ليست هنالك سلطة منظمة يمكنها استرجاع الدستور أو حتى ان تقلق من أن تُهزم. البلد مفلس،لأن الرأسماليين الأمريكيين انتقلوا الى ما وراء البحار وكذلك الكثير من وظائف التصنيع الأمريكية والهندسة والأبحاث، فالواردات الأمريكية تجاوزت الآن المنتجات الصناعية الأمريكية، والاعتماد الأمريكى على البضائع المصنّعة المستوردة وبضائع التكنولوجيا المستوردة والطاقة المذهلة. إضافةً الى ذلك، تتصاعد التبعية بشكل دراماتيكى فى مارس عام ٢٠٠٢ قبل قرار بوش بفرض إرادة اسرائيل على الشرق



4
نظرة على الفنان



□□

الأوسط كان سعر برميل النفط ٢٥ دولاراً، اليوم يزيد سعر البرميل عن ١٢٥ دولاراً، بزيادة أكثر من خمس مرات، لتشهد فاتورة استيراد نفطنا ارتفاعاً من ١٤٥ مليارَ دولار في ٢٠٠٦ الى ٤٥٦ مليار دولار حالياً، مما يعنى إضافة ٣٠٠مليار دولار الى عجز تجارى سابق كان يتراوح ما بين ٧٠٠-٨٠٠ مليار دولار سنوياً. ليست هنالك احتمالية بأن تغلق الولايات المتحدة عجزها التجارى، والولايات المتحدة ما تزال قادرةً على النجاة من تلك العجوزات الضخمة فقط، لأن الدولار الأمريكى هو عملية الاحتياط العالمية، هذا الدور للدولار يقترب من النهاية، إذ يبحث العالم عن احتياطى أكثر استقراراً على الرغم من أن النفط لا يزال مسعراً بالدولار، فإن النفط قد يسعر باليورو وحينما يرفع منتجو النفط سعر الدولار مع الابقاء على عائداتهم من النفط فى قوة شرائية ثابتة باليورو. وعندما يخسر الدولار دوره كعملة احتياطية، فإن التمويل الأجنبى للتجارة الأمريكية وعجز الميزانية سيتبخر، وسينهار مستوى المعيشة الأمريكية، ولن تكون القوة المطلقة التى لا يُستغنى عنها إلا بلداً منبوذاً.. ولن يكون ذلك بعيداً جداً لعالم سئم التفرد الأمريكى.

■■■

توقع متخصصون فى الأعمال الفنية أن تباع لوحة رسمها رئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ونستون تشرشل وأهداها إلى الرئيس الأمريكى الأسبق هارى ترومان، بما يقارب مليون دولار بمزاد سيقام فى ديسمبر المقبل.

وكان رئيس الوزراء البريطانى قد رسم اللوحة التى أطلق عليها اسم مراكش بالألوان الزيتية على قطعة قماش، حيث قدم مشهدا لجبال أطلس فى خلفية لإحدى بوابات المدينة المغربية العريقة وظلت هذه اللوحة فى حوزة عائلة ترومان منذ عام ١٩٥١، ولم تشاهد علنا منذ عرضت فى العرض الدولى بنيويورك عام ١٩٦٥ وقال فرانسيس كريستى الخبير الفنى فى دار سوثبى للمزادات، إن اللوحة المذكورة نموذج رائع على تألق تشرشل، فضلا عن أنها تصور مكانا كان محببا إليه يذكر أن تشرشل شغل منصب رئيس وزراء بريطانيا مرتين، الأولى من عام ١٩٤٠ إلى ١٩٤٥، ثم مرة أخرى من عام ١٩٥١ إلى ١٩٥٥. وأهدى تشرشل -الذى كان يعرف عنه ولعه بالفن التشكيلى- اللوحة إلى مارغريت ابنة ترومان، أثناء مأدبة غداء فى مقر رئاسة الوزراء البريطانية عام ١٩٥١ وعادت مارغريت باللوحة إلى والدها هارى ترومان الذى تولى رئاسة الولايات المتحدة من عام ١٩٤٥ إلى ١٩٥٣. وبعد وفاة الرئيس ترومان عام ١٩٧٢، انتقلت ملكية اللوحة إلى مارغريت التى قررت بيعها فى مزاد علنى سيقام فى لندن فى ١٣ ديسمبر/كانون الأول المقبل يشار ايضا إلى أن لوحة أخرى رسمها تشرتشل بريشته لمنزله فى لندن، بيعت فى يوليو الفائت بمبلغ مليون جنيه إسترلينى.

بيعت لوحة بريشة رئيس وزراء بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ونستون تشرشل مقابل ٤٢٠ ألف دولار فى مزاد نظمته دار بونهامز للمزادات فى نيويورك لمشتر لم يكشف النقاب عن اسمه شارك فى المزاد عبر الهاتف بعد مزايدة قصيرة.

ويطلق على اللوحة التى رسمها تشرشل من شرفته فى فندق فى مراكش حيث كان يمضى عطلة فى العام ١٩٣٥ اسم غروب الشمس فوق جبال أطلس.

ولا يعتبر ثمن هذه اللوحة مرتفعا مقارنة مع لوحتين سابقتين لتشرشل بيعتا العام الماضى إحداهما كانت عن المغرب كذلك وقد بيعت بحوالى مليون دولار، أما الثانية فكانت لوحة كبيرة لمنزله تشارتويل وبيعت بأكثر من مليونى دولار.

وكان تشرشل بدأ الرسم عام ١٩١٥ لتخفيف نوبات الاكتئاب التى كانت تصيبه، وقد

قالت ابنته مارى سوامیس ذات مرة بأن أباها كان يلجأ فى تلك الأوقات إلى لحظات من الهدوء وسط جلبة الحرب وضغوطها.

وأكد الخبير فى دار بونهامز مالكولم ووكر أن هذه اللوحة التى استخدمت فيها الألوان الزيتية الساطعة هى أكثر أعمال تشرشل النابضة بالحياة، وقد سبق لدار بونهامز أن قدرت ثمنها بما بين ٤٠٠ و٦٠٠ ألف دولار.

ويذكر أن تشرشل عاد إلى المغرب لرؤية نفس مشهد الجبال مرة ثانية عام ١٩٤٣ بعد مؤتمر الدار البيضاء أثناء الحرب العالمية الثانية ولكن بصحبة الرئيس الأمريكى الأسبق فرانكلين روزفلت.

وبعد فإن كان وينستون تشرتشل يتمتع بشعبية واسعة داخل بريطانيا وخارجها، فقد كان أشهر من نار على علم. وكان مجرد شكله يعتبر رمزا بريطانيا. فالكل يعرف أدق التفاصيل عن لباسه، وقبعاته، وربطة عنقه الفراشية، وعصاه، وسلسلة ساعة جيبه، وسيجاره، وإشارته الدائمة بعلامة النصر. واعتبره الكثيرون ظاهرة ولغزا، فقد استطاع أن يصبح عضوا فى البرلمان فى سن السابعة والعشرين، وفى سن الرابعة والثلاثين أصبح وزيرا للدولة، ومنذ ذلك الحين أصبح يتنقل عبر مختلف المناصب الوزارية من وزارة الداخلية إلى أن أصبح وزيرا أولا، مرورا بوزارات المالية والتجارة والحرب والتسلح والمستعمرات.. . شاهد وشارك فى العديد من المعارك، أسر فى جنوب إفريقيا حيث كان يعمل مراسلا حربيا، واستطاع أن يفر من أسره، وألف فى ذلك كتابا. وكان متعدد المواهب، حيث كان يجيد عمل كل شىء، من لعبة البولو إلى الحدادة، واهتم بالزراعة وتربية خيول السباق. وككاتب، له عدة مؤلفات، أشهرها كتابه حول الحرب العالمية الثانية، فى ستة أجزاء، رشحه لجائزة نوبل للآداب. كما كان خطيبا بليغا، عندما كانت تبث خطبه عبر الإذاعة كان الصمت يسود فى المقاهى والأماكن العمومية، استماعا للنبرة المطمئنة لصوته المهمهم. وعرف تشرتشل كذلك كرسام، حيث بدأ الرسم سنة ١٩١٥ كهواية تسليه فى ظروف عزلته وابتعاده عن الحياة السياسية.

ومع توالى الأيام اكتشف هذه الموهبة وهى تستيقظ فى أعماقه، وتصبح منذ سن الأربعين رفيقته المخلصة طيلة حياته. فقد كانت أدوات الرسم لا تفارقه أينما حل وارتحل، حتى فى أهم رحلاته الرسمية. وجاء فى كتاب له تحت عنوان الرسم كتسلية:..

. الرسامون سعداء لأنهم لا يشعرون أبدا بالوحدة، فالضوء واللون والسلام والأمن أشياء ترافقهم إلى آخر أيام حياتهم وأغنى مرحلة بالعطاءات فى حياته الفنية كانت ما بين ١٩٣٠ و١٩٣٩، وذلك بعد سقوط الحكومة المحافظة سنة ١٩٢٩، وفقد تشرتشل حقيبته الوزارية. وإن كانت هذه المرحلة قاحلة فى حياته من الناحية السياسية، فإنه استطاع أن يرسم خلالها أغلب اللوحات من بين الخمسمائة لوحة المعروفة له. ومنذ سنة ١٩٤٧ بدأ يعرض بانتظام فى المعرض الصيفى للأكاديمية الملكية البريطانية. وقد ولج للمرة الأولى هذه الأكاديمية بعرض لوحات موقعة باسم مستعار هو السيد وينتز. وانتخب سنة ١٩٤٨ عضوا شرفيا فوق العادة بهذه الأكاديمية، وهو امتياز استثنائيكان يحب الألوان الزاهية، وكتب عنه مؤرخ الفن الشهير جون روتشتاين: لرسوماته علاقة حميمية ومباشرة مع مفهومه للحياة، ينهل منها بشكل لا يقاوم ابتهاجه بالمظاهر البسيطة لجمال الطبيعة دون أى خلط فى سنة ١٩٣٥، خاب أمل تشرتشل نتيجة عدم حصوله على حقيبة وزارية فى الحكومة المنبثقة عن الانتخابات، فسافر إلى الخارج، وقادته جولته إلى مدينة مراكش، حيث وجد راحته، واسترجع معنوياته فى جبال الأطلس الرائعة، ورسم هناك سبع لوحات فنية خلال الحرب العالمية الثانية، انشغل تشرشل عن الرسم ولم يرسم إلا لوحة وحيدة. فقد حل تشرتشل بالمغرب للمشاركة فى مؤتمر آنفا (١٤ إلى ٢٤ يناير ١٩٤٣) بالدار البيضاء، وكان ينزل



5

اعرف عدوك لتعرف كيف تهزمه

نص المقال الذى نشرته جريدة «التحرير المصرية» عن تشرشل عام 1954



□□

بفـيلا مـيرادور بحى آنفا، حيث كانت تهـيأ خطط إنزال قوات الحلفاء على شواطئ أوروبا. وكان الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفيلت ينزل بفـيلا دار السعادة بنفس الحى، حيث استقبل فيها جلالة المغفور له محمد الخامس مرتينورغم انشغاله بثقل مسؤولية وخطورة هذا المؤتمر، لم يستطع تشرشل أن يكبح جماح عواطفه ولهفته التى أثارتها ذكريات الأطلس. ففى هذه الظروف العصيـبة التى كان يعـيشها العالم، وكان تقرير مصـيرها بين أيديهما بالدار البـيضاء، استطاع تشرتشل أن يقنع الرئيس الأمريكى روزفيلت بمرافقته إلى مراكش بواسطة السـيارة، للتمتع بالمناظر الخلابة لجبال الأطلس. ورسم تشرتشل المشهد فى لوحة أهداها لصديقه روزفيلت، الذى كانت تربطه به علاقة ود حمـيمى أسقطت بينهما كل جدران التحفظ والبروتوكول وأصبح لهذه اللوحة الفريدة، منذ تلك اللحظة، قـيمة فنية وقيم أخرى متعددة، منها أنها الوحيدة التى رسمها تشرتشل خلال الحرب العالمية الثانية، وتأريخها لمؤتمر آنفا زمانا ومكانا، وباعتبارها رمزا للصداقة التى كانت تربط تشرتشل بروزفيلت، حيث كان هذا الأخير يقول له: من الممتع أن يعيش المرء فى عهدك. وتوفى وينستون تشرتشل سنة ١٩٦٥ عن عمر يناهز ٩٠ سنة.

■■■

أصدرت صحيـفة الأنباء اللبنانية المصورة كتابًا تناولت فيه حياة السير ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا وعنوان الكتاب «ونستون تشرشل.. المثل الأعظم فى وقتنا

الحاضر».

وقد ألقى الكتاب ضوءًا كبيرًا على حياة السير رئيس الوزراء.. وتناول فيه كبار الكتاب من أساتذة الجامعة والنواب والوزراء شخصية تشرشل من زوايا مختلفة.. وقد استخلصنا من هذا الكتاب عرضًا سريعًا لحياة تشرشل من زاوية أخرى.. زاوية الحقيقة التى تهمنا نحن المصريين.. وفيها نرى تشرشل بوضوح.. رجلاً بضاعته الموت.. ودعوته الحرب.. ورسالته التخريب وفناء الشعوب..

ونظرة إلى شخصية تشرشل سواء من الزوايا التى عرضها الكتاب أو من تلك التى استخلصناها نحن.. يجتمع الرأى على أن تشرشل الداهية الحمراء.. واليد القاتمة التى تضمر نيران الحرب. وتسوق البشرية إلى أتون المعارك الرهيبة.. وإنه خير رجل.. يدير الأمور فى سنى الحرب.. أما حكومات السلام فليس له بها دراية..

وفى الغد حين يسود السلام.. وتدول دولة الاستعمار الأثيم وتتيقظ الشعوب لتقرأ فى وعى جديد تاريخ البشرية.. سوف تمحو من سجلات الإنسانية أسماء دعاة الاستعمار.. والحرب هؤلاء.. وفى مقدمتهم ونستون تشرشل.

ولد على صوت الرصاص

٣٠ نوفمبر عام ١٨٧٤.. وهذه العربية الفاخرة تجرها ستة جياد.. تنتظر أمام قصر «بلن هايم» لتحمل الليدى راندولف تشرشل زوجة ابن سيد القصر إلى ميدان الرماية.. لتشهد السدة موقعة مبارزة بالمسدسات.. ولم تكد تنطلق الرصاصات الأولى من المبارزة حتى امتقع وجه السيدة وكادت يغشى عليها... وحملوها إلى عربتها عائدة إلى القصر.. فقد فاجأتها آلام الوضع، إذ كانت تنتظر مولودًا.

وفى أقرب غرفة إلى بوابات قصر بلن هايم وضعت السيدة طفلها الذى قدر أن يصبح فيما بعد أكبر داهية للحرب والدمار. وأن ترتفع بعد مولده بعشرين عامًا أكف الملايين من أبناء الشعوب المغلوبة على أمرها ضارعين إلى السماء أن تصب على الاستعمارى البغيض.. لعنة الحياة والموت، وفى منتصف ليلة ٣٠ نوفمبر ١٨٧٤ جاء إلى قصر بلن هايم عمدة المقاطعة وكتب فى أوراقه بضع كلمات ثم سأل عن سيد القصر،

الدوق السابع مارل بوروف، جد تشرشل لأبيه، وسلمة قصاصة ورق كتب عليها اسم الطفل «ونستون تشرشل»!!

ديته ٢٥ جنيهاً!

هكذا جاء مولد تشرشل وأمه تتسلى بمشاهدة القتلى..

ولم تزل هذه الحجرة التى ولد فيها ونستون تشرشل كما هى منذ ثمانين عامًا.. بها نفس الأثاث الذى شاهد اليوم التاريخى، وكذلك الأشياء الخاصة بونستون تشرشل الطفل، وإطار زجاجى بديع يحفظ خصلات الشعر الذهبية الحمراء التى قصت من على جبين ونستون تشرشل وعمره خمسة أعوام.. وقد أضاف تشرشل فيما بعد إلى محتويات الحجرة التى كانت مسرح مولده المشئوم لوحتين، إحداهما لأمه رسمها بنفسه، وصورة المكافأة التى خصصها رؤساء قبائل البوير فى جنوب إفريقيا يطلبون فيها السجين الهارب ونستون تشرشل حيًا أو ميتًا.. مقابل ٢٥ جنيهًا ذهبًا!

وفى عام ١٨٨٨ التحق تشرشل بكلية هارو العسكرية بالرغم من تفوقه فى الآداب خلال دراسته التجهيزية.. ولكن ميله الشديد إلى الحياة العسكرية جعله يلتحق بكلية هارو، وأصدر فيها وهو طالب، مجلة مدرسية هاجم على صفحاتها نظم التعليم بالكلية، وطالب بإلغاء التعليم النظرى العسكرى ونادوا بضرورة تدريب الطلبة فى معارك حقيقية من حين لآخر.. وبعد ذلك بخمسة أيام سافر تشرشل مع الجيش البريطانى إلى جنوب أفريقيا فى حرب البوير..

أهذه هى الحرب؟!

فى هذه المناسبة كتب تشرشل فى الفصل السابع من الجزء الأول من مذكراته يقول: إن من أسعد أيام حياته الخمسة والعشرين عامًا الأولى، تلك الساعة التى تخلص فيها من تقاليد الدراسة النظرية وسافر مع الجيش إلى معركته الحربية الأولى فى البوير..

ولو أنصف تشرشل لما سمى حرب البوير «معارك.».. فإن اعتداءات جيش منظم على مواطنين مسالمين فى أرضهم، عزل من السلاح والتدريب.. لا يسمى معركة حربية.. ومع ذلك فلم يكن تشرشل فى رحلته هذه محاربًا... وإنما كان مراسلاً حربيًا لصحيفة يومية كبيرة فى لندن هى «المورننج بوست».

والذى يقرأ تاريخ تشرشل، ويتعمق فى فهم شخصية هذا المخلوق الذى يسعد بإشعال الحروب ويغتبط بمناظر المعارك الدامية.. يعرف أنه كان يقدس الحرب دائمًا.. على أن يكون مكانه فيها.. فى مخبأ الأمان..

وقد كانت حرب البوير ذات أثر بعيد فى حياة تشرشل إن لم تكن نقطة الابتداء الحقيقى فى حياته وفى الفصل الثانى من هذا الكتاب يقدم السير «سيرل فارز» الأستاذ غير المتفرغ لتاريخ الحروب بجماعة أكسفورد مقالاً بعنوان «تشرشل فى الحرب» يقول فيه:

كيف وقع أسيرًا؟

.. كانت معركة ملكان هى نقطة البدء فى حياة تشرشل عام ١٨٩٧.. فقد غادر الملازم ونستون تشرشل الهند.. وسمع بوجود ثورة فى قبائل «البوير» وتكوين فرقة برئاسة سير «بوندونبلود» لمحاربتها.. فرقى إلى رتبة كابتن مكافأة على تطوعه ثم التحق بهيئة أركان الحرب سير بوندن وشهد الموانع العنيفة فى الملاكان ضد قبائل المامونتا.. وتلك المعارك التى كان يقتل فيها ألوف الزنوج ثم وقع تشرشل فى الأسر».

أما حادث الوقوع فى الأسر فقد كتب تشرشل نفسه مقالاً افتتاحيًا فى صحيفة «المورننج بوست» فى ٢٤ يناير ١٩٠٠ يشرح فيه لأول مرة تفاصيل الحادث فقال:

«.. بعد أن وقعت في الأسر نقلونى بعد أن وقعت مغشيًا على ثم السير عشر ساعات متواصلة فى الشمس المحرقة.. إلى مدرسة المقاطعة وكانت قد تحولت إلى سجن لكثرة الأسرى الذين وقعوا فى أيدى الزنوج.. واستسلمت لحارسى دون مقاومة وهو يغلق على

باب الحجرة الصغيرة المظلمة فاطمأن الحارس.. وجلس إلى زميلة يدخنان التبغ الأفريقى ذا الرائحة الكريهة.. فتسللت من مخبأى فى هدوء.. وبحذر سرت بجوار حائط المدرسة ثم تعلقت بقمة الجدار وجذبت نفسى إلى أعلاه وهبطت من الجهة الأخرى فى حديقة مجاورة وسرت حوالى ثلاث ساعات بين الأشجار والنباتات الكثيفة حتى وصلت إلى خط السكة الحديد.. وجاء قطار البضائع فى الصباح التالى فتقدم قريبًا منه وقفزت إليه.. ولكنى سقطت على الأرض وفشلت كذلك محاولتى الثانية.. ولم يكن أمامى إلا الفرصة الأخيرة للنجاة.. فتعلقت بالعربة الأخيرة وتسلقت ظهرها ورقدت ضمن محتوياتها تحت الغطاء الملئ بالأتربة!! وحين تخطى القطار حدود المقاطعة قفزت منه.. وأصبحت حرًا..

عودة الأسير!

وقد عاد تشرشل إلى إنجلترا بعد هذا الحادث فى مركب حربى خاص فوصل إلى ميناء دربن فى ٢٣ ديسمبر ١٨٩٩ بعد رحلة مخيفة خطرة.. واكتشف المراسل الحربى الهارب من الأسر أنه قد أصبح بطلاً شعبيًا.. فقد استقبلته الجماهير التى حشدتها صحيفته والبرقيات التى كانت تنشرها له وحمله الناس على الأكتاف كأنهما هو من الغزاة الفاتحين.. وعلى سلم قاعة المدينة وقف نستون تشرشل المراسل الحربى يلقى أول خطبة فى حياته.. ولا يزال النصب التذكارى الذى نقشت عليه كلمات هذه الخطبة موجودًا فى قاعة المدينة وفى هذه الخطبة يمجد تشرشل الحرب ضد السود.. الزنوج.. المتوحشين.. عبيد أفريقيا..

وأحرز تشرشل بهذه الخطبة أول كسب سياسى فى حياته، فقد اقتنع الجمهور بأنه من أعظم خطباء عصره.. وترجم هذا الإعجاب إلى انتصار على منافسه فى المعركة الانتخابية التى دخلها لأول مرة فى حياته بعد عودته بثلاثة أشهر.. وبالرغم من أن خصمه والتر ولسمان ظل نائبًا عن مقاطعة أولدهام عشر سنوات.. فقد اكتسحه تشرشل الذى استمر بعد فوزه هذه المرة فى الانتخابات يخوض معارك الحياة النيابية مدى

نصف قرن كامل.. وكان أهم هذه المعارك عامى ١٩٤٥، ١٩٥٠.

العزاء الرخيص

وكتبت فى ذلك الوقت الكاتبة الإنجليزية «ليلى وليمز» تقول: «بمجرد انتهاء الحرب جاءت الانتخابات البريطانية.. وبالرغم من خمر النصر فقد كان الشعب البريطانى لم يضمد جروحه بعد.. فلم يكن قد عرف بصفة نهائية عدد القتلى.. ولا أرقام الخسائر.. ولم تكن الأم ولا الزوجة ولا الأخت قد اطمأنت إلى رجلها الغائب.. سيعود أو ستتلقى بدلاً منه قصاصة ورق من وزارة الحرب تحمل لها أرخص العزاء..

فأصبح وجه تشرشل البغيض المفلطح يتمثل للناس كلما مر بخاطرهم حادث من أحداث الحرب وكوارثها.. وأصبح وجود تشرشل يعنى الحرب والخراب والخسائر.. وتكاتفت كل القوى الواعية فى الناخبين الإنجيلز وأسقطت تشرشل وأصبح بطل الأمس الذى حملوه ساعة جاء يعمل وثيقة الخزى والعار التى وقعتها اليابان مستسلمة لهزيمتها بعد جريمة هيروشيما الأمريكية، أصبح هذا البطل الذى حملوه على الأعناق وهتفوا له وطافوا به الميادين وتحت أقواس النصر، وقطعت موكبه باقات الزهر يجلس كالجثة يهلث من البهجة وقد رفع يده وعقص أصابعه الملوثة بدماء الشعوب يشير بعلامة النصر.. أصبح هذا البطل اليوم منبوذاً.. وأسقط الشعب مرشحيه.. وصوت الناخبون لخصومه.. وهتفوا ضده.. ضد تشرشل جلاد الشعوب.. تاجر الحرب..

جاء مرة أخرى..

ثم تحرجت الظروف الدولية عام ١٩٥٠ وخلا الميدان لمعركة أخرى بين حلفاء الأمس.. أعداء اليوم.. الديمقراطية الأمريكية البريطانية.. والشيوعية.. وبدأت صحف الغرب تحدد المعركة وتتوقع لحظة البدء.. وجاءت النذر تؤكد تهدد السلم.. واحتمال خطر الحرب.. فجاء تشرشل مرة أخرى إلى الحكم..

والذى يريد أن يعرف تاريخ تشرشل الحقيقى لابد أن يقرأ حياته النيابية لأن

هذه الفترة من حياة الاستعمارى العجوز توضح كثيرًا من أخلاقه وكثيرًا من اتجاهاته، وفى الفصل الثالث من الكتاب الذى نعرضه اليوم يشرح السير «إيريل وينترتون» نائب مقاطعة هورشام عام ١٩٠٤ إلى عام ١٩٥١، فى مقال عنوانه «ونستون تشرشل البرلمانى» فيقول:

«لقد عرف تشرشل النائب.. الطريق الصحيح إلى الزعامة.. وعرف أن هذا الطريق همزة الوصل فيه أذان الشعب.. فبدأ بحماس!! وسجل بحملاته الجريئة كسبًا شعبيًا كبيرًا... فأصبح قوة.. فنقلته هذه القوة من كرسى النائب إلى كرسى الزعيم...

وكانت أولى حملاته على زعيم حزبه بالرغم من أن تشرشل من أشد المتحمسين تمسكًا بتقاليده، فقد حمل على تشمبرلين زعيمه وهو الحاكم وندد بسياسته الاقتصادية بل وتطرف فى الهجوم إلى حد أعلن تأييده المطلق لحزب الأحرار فى معارضتهم لسياسة تشمبرلين الاقتصادية، وحقق تشرشل بهذه الحملة مظهرًا شعبيًا كبيرًا حمله إلى كرسى وزير التجارة عام ١٩٠٨ وهو أول منصب وزارى تقلده تشرشل وكان عمره حينئذ ٣٤ عامًا.

يبنى كوخًا ويهدم ممالك

أما مظاهرته الشعبية الثانية فكانت عام ١٩١٠ حين عين وزير لشئون المساكن فاشترك فى اتحاد نقابات البنائين واشتغل بحرفة البناء فى أوقات فراغه أدرج اسمه ضمن كشوف العمال كعضو معترف به وأجره ٥ شلنات فى اليوم وسرعته طوبة واحدة كل دقيقة واجتاز تشرشل امتحان عضوية النقابة فبنى بيده كوخًا لنفسه فى سارتويل وسورًا حول حديقته الخاصة... وضمن بذلك تأييدًا مطلقًا لأعمال وزارة المساكن التى كان مسئولاً عنها..

ثم عين وزيرًا للحربية عام ١٩١١.. وفى هذه المرة سجل دقة حاسته القوية نحو إشعال الحروب.. فقد عبأ الأسطول البريطانى وسلحه فى ديسمبر ١٩١٣ أى قبل إعلان الحرب العالمية الأولى بأكثر من ثمانية شهور.. وكان قد لقى معارضة شديدة فى

سياسته لتسليح الأسطول فلما وقعت الحرب انقلبت هذه المعارضة إلى تأييد مطلق.

وحمل تشرشل خلال الحرب العالمية الأولى على تشجيع الاختراعات الحربية.. ويرجع إليه الفضل.. إذا كان فى ذلك فضل.. فى اكتشاف الدبابات.

وهكذا ترى تشرشل فى الجزء الذى تقدم من تاريخه.. مخلوقًا يقدس الحرب، ويكرس لأهوالها جهده.. ووقته.. ويجعلها دائمًا رسالته فى الحياة..

أما بعد الحرب العالمية الأولى فقد تحويل تشرشل إلى أخطر داعية للحرب فى التاريخ وأصبح الرجل الوحيد الذى يصلح لإدارة هذه الكارثة البشرية..

الشخصية المدمرة!

أما فى الفصل الرابع من الكتاب بقلم الوزير البريطانى السابق وينترتون.. كانت بريطانيا عام ١٩١٨ تواجه محنة رهيبة.. يزيدها خطورة فقد الأمل فى السيطرة على الموقف الذى كان يزداد سوءًا كل لحظة.. فالجيش يعلن التمرد على نظام التسلح الظالم.. والشعب يئن من كثرة مشاكله والضرائب الباهظة وأقواته التى حولتهاالحكومة إلى رصاص وبنادق.. وفى هذه الظروف تولى تشرشل لأول مرة وزارة الحرب فأعلن برنامجًا لسياسته يخالف سياسة سلفه جملة وتفصيلاً.. وحقق تشرشل ببيانه الذى ألقاه.. ثلاثة انتصارات: ثقة البرلمان، ورضاء مجلس الوزراء، وتأييد الشعب..

ويستطرد الكاتب الوزير فيقول.. وكثير من الوزراء يستطيعون أن يكسبوا النصرين الأول والثانى.. أما البرنامج الذى يضمن هذه الانتصارات معًا.. فليس لأحد غير تشرشل!!

ليس هذا فحسب بل إن جهود تشرشل فى الجيش هى الأخرى قد جعلته ينال ثقة الضباط والتحق بمعهد الطيران وتعلمه..

وفى هذه الفترة تبلورت اتجاهات تشرشل وتكشف الدور الذى تصلح له شخصيته المدمرة، فعين وزيرًا للمستعمرات عام ١٩٢١.. وأدخل الأساليب الحديثة فى وزارة المستعمرات ونفذ خططه الدنيئة والوحشية فى شعوب هذه المستعمرات.. فارتفعت

أرصدة بريطانيا من مغانم مستعمراتها.. واثبت تشرشل بذلك أنه جدير بمنصب وزير المالية، فعين فيه عام ١٩٢٤ وبقى به خمس سنوات، ثم جاءت الفترة الحاسمة فى تاريخ الرجل وأدى الدور الذى لن تتاح له فرصة إعادته مرة أخرى..

داعية الدمار

فى السبت الأول من مارس ١٩٢٩ وقف رجل ضخم الجثة مفلطح الوجه مترهل الجسم أصلع الرأس.. ثقيل الظل.. هو ونستون تشرشل سليل اللوردات.. سفاح الشعوب.. ومد أصابعه القصيرة التى قدر لها أن تكتب فيما بعد أهوال الإنسانية، وقدم إلى زغيم المحافظين مظروفًا به استقالته من الوزارة ومن المناصب ومن الاشتغال بالسياسة، واكتفى تشرشل بمقعده فى البرلمان ليتفرغ لمهمته الكبرى ورسالته الجليلة.. الدعوة إلى الحرب!!

وفى عام ١٩٢٩.. والعالم يتقدم نحو الازدهار وقوى الترقى تزحف لتأخذ بيد الإنسان.. إذا بتشرشل يسعى لحتف الإنسانية، ومصرع التقدم والعمران.. فيطوف بالمدن والقرى ويعقد الاجتماعات ويلقى الخطب الطوال والقصار ويواصل السعى، من أجل الحرب.. وسيكتب التاريخ عشر سنوات من تاريخ تشرشل بمداد أسود تفوح منه رائحة البارود والدم المهدور والخراب الذى قاساه العالم كله.. استجابة لهذه الدعوة الشريرة التى حملها ونستون تشرشل على عاتقه.. فلم يكد العام العاشر لهذه الدعوة المشئومة للحرب يجىء.. حتى اشتعلت نيرانها، كما أراد.. وامتلأت القلوب حقدًا والصدور غيظًا وعداء.. وانطلق مارد الحرب يدمر العالم ويدكه بالمدافع فى كل مكان وقامت الحرب العالمية الثانية وفى الساعة التى جاءت فيها الإنسانية إلى الحرب.. جاء ونستون ترشل داعية الهلاك.. إلى كرسى الرياسية فأصبح رئيس الوزراء.. ووزير المالية والدفاع خلال السنوات المشئومة..

من تحت الأرض!

ويكتب السير سيرل فارز الأستاذ بالجامعة يقول:

«كانت البشرية كلها تقاتل بعضها بعضا.. والسير ونستون تشرشل فى مخبئه الذى بنى من جدران غير قابلة للنسف، وبه حجرة نوم ومكتب صغير، عليه الجهاز الذى وجه به تشرشل إلى العالم أجمع وإلى الجنود المحاربين فى المعارك، إذاعاته البغيضة.. فأشعل بها النار فى صدورهم.. كما أشعل النار فى ميادينهم.

وطاف تشرشل بجبهات القتال فلم تدمع عيناه للأطلال والخرائب التى شهدها.. ولم يزعجه يتم اليتيم.. ولا ترمل الأرمن.. ولم يقلق باله فناء الرجال المحاربين.. فعند الشباب وخلف جيلا شوهته الحرب!!

وفى عام ١٩٤٣ والعالم يثور من الحرب الضروس ووسط هذه الأهوال التى أحدث فى المعارك كان تشرشل يعقد المؤتمرات فى دول العالم كله يطلب تأميم الحرب.. وكأنها حتى أصابته فأصبح مسعورًا يلهث بالدعوة إليها.. ولم ينس فى نوفمبر ١٩٤٣ وهو فى مؤتمر طهران أن يحتفل بعيد ميلاده التاسع والستين.. وقد جاء فى الفصل الثامن من الكتاب كشكول عن حياة تشرشل يقول:

إنه فى هذه الليلة جلس الثلاثة الكبار.. ستالين وروزفلت وتشرشل.. حول ٦٩ شمعة.. وشربوا نخب ميلاد «السفاح» ووقعوا فى الليلة نفسها ميثاق طهران الذى اتفقوا فيه على سحق قوى ألمانيا..

عار هيروشيما..

ثم لا تمضى شهور حتى يدعو تشرشل لمؤتمر القاهرة، فيطير إليها، ويجلس على سفح الهرم يرسم لوحة لمعجزات مصر، ثم يخلع معطف الرسم ليدخل إلى المؤتمر.. تشرشل وروزفلت وشيانج كاى شيك، وتصدر قرارات المؤتمر فإذا بها إنذار إلى اليابان أن تستسلم دون قيد ولا شرط.. فى مذلة وهوان..

ثم يتبعه بمؤتمر الدار البيضاء ويفرض فيه الاستسلام دون قيد ولا شرط على كل أعداء الحلفاء وإلا فالموت لهم..

ثم يجتمع بروزفلت وستالين فى يالتسا عام ١٩٥٤ ليرسم خطة العار الأخير..

خطة إبادة هيروشيما بالقنبلة الذرية..

وفى يوليو ١٩٤٥ يجتمع مؤتمر بوتسدام.. تشرشل وستالين وروزفلت ويدرسون مشاكل ما بعد النصر.. وفى هذا المؤتمر وضحت أسس الصراع الحقيقى لبقية القصة.. بين الذئاب المنتصرة..

ثم طرد تشرشل من الحكم.. وحكم العمال بريطانيا وسادت العالم موجة هدوء.. قد يكون الهدوء الذى يسبق العاصفة..

نذر السوء

وفى ١٩٥٠ عاد تشرشل إلى الحكم فعادت نذر السوء.. والحرب، أو الدعوة إليها على الأقل وتابع الاستعمارى العجوز مؤتمراته ونشاطه الهدام المخرب.. وهذا مؤتمر برمودا فى ديسمبر ١٩٦٣ تشرشل وايزنهاور وفرنسا.. يجتمع ليقرر الموقف إزاء العدو الجديد.. الحليف القديم.. روسيا..

ووسط كل هذه الأعاصير التى يعيش فيها تشرشل.. فهو يشتغل بالرسم.. ويبيع لوحاته من أجل توقيعه.. لا من أجل فنه.. وهو يكتب عن نفسه فى الجزء الثانى من مذكراته التى حازت جائزة نوبل.. أن أحب الألوان إليه الأحمر.. لون الدم..

قصة قصيرة قرأتها فى ختام هذا الكتاب الذى قدمنا منه صورة للاستعمارى العجوز..

فى يونيو ١٩٤٨ بيعت وثيقة رهان فى مزاد علنى فى لندن اشترتها مؤسسة من نيويورك بـ ٨٠٠ جنيه ويرجع تاريخ الوثيقة إلى ٢٢ يناير ١٩٠١ حين كان تشرشل فى الولايات المتحدة، حيث كتب بخط يده مع أحد أصدقائه «مستر جامس سينج» من «مينا بولس» يراهن مستر تشرشل على مائة جنيه ذهبى على أنه فى خلال السنوات العشر التالى لتاريخ هذه الوثيقة ستصاب إمبراطورية بريطانيا بخسارة فى أستراليا أو كندا أو الهند.. وسيفقد التاج البريطانى ربع مستعمراته.

نحن نراهن تشرشل!

محتويات



وقبل ان تقرأ عزيزى القارئ نود أن نذكرك بأن اهتمامنا بحياة تشرشل لا يعنى إعجابنا بفكره، أو بدوره فى التاريخ. لكن اهتمامنا هنا يرجع إلى أهمية تلك الشخصية العملاقة.

فتشرشل شخصية غريبة غير أن تجاهلها غير ممكن. إنها شخصية لرجل فذ، استطاع النجاح فى جميع مناحى الحياة، وبرغم هذا وقع فى فخ الاكتئاب. فالسير تشرشل هو أشر مرضى الاكتئاب فى العالم باعترافه، غير أنه قاوم هذا المرض كما قاوم هتلر، لكن من الواضح أنه كان يقاوم الاكتئاب وهو يضمر إعجابا له، تماما كما كان يقاوم هتلر وهو يضمر له الإعجاب.

ومن هنا كان هذا الكتاب.

كنوز
للنشر والتوزيع

Design رؤية Vrawek
33036809